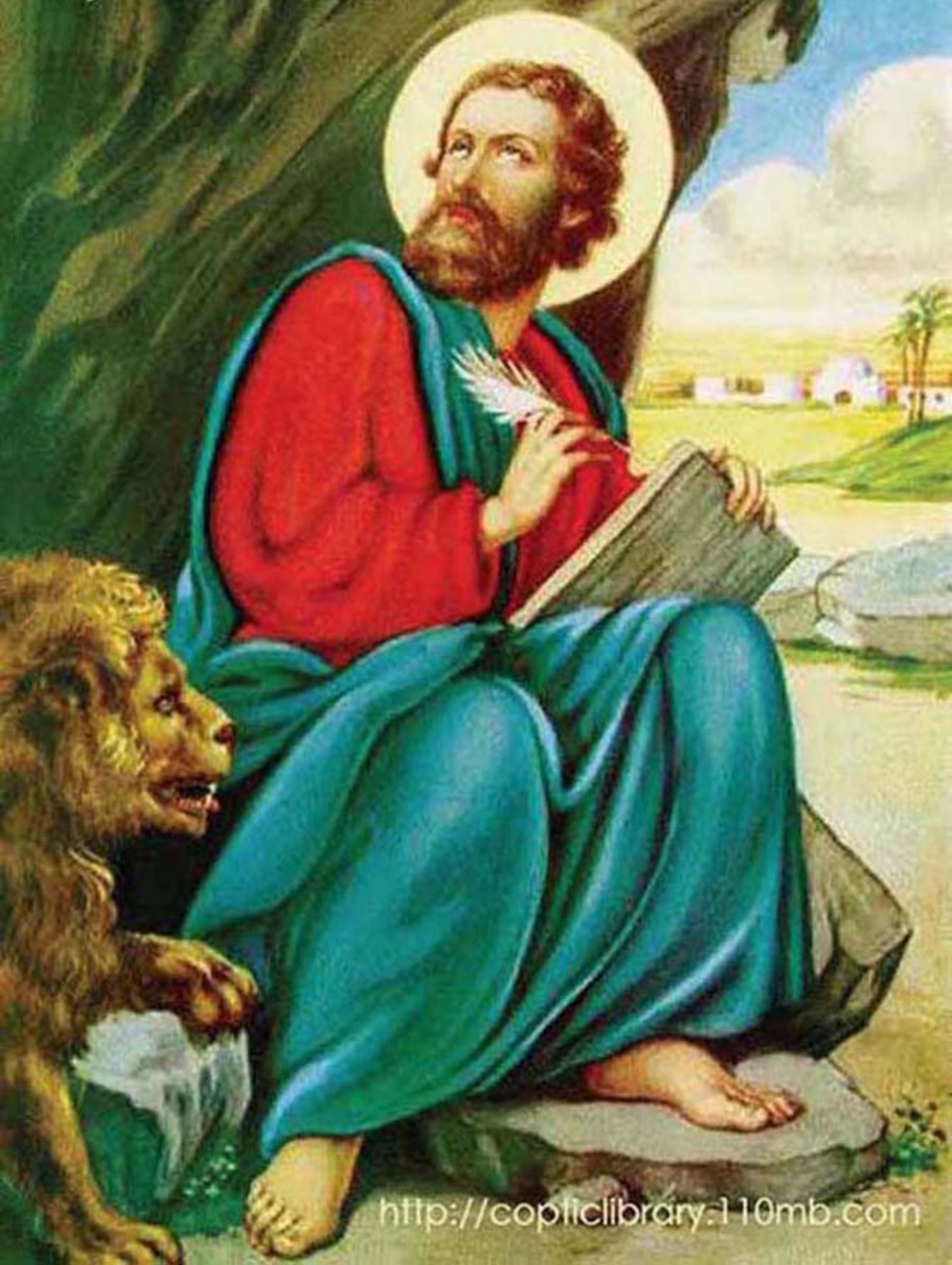


المكتبة القبطية على الانترنت



<http://copliclibrary.110mb.com>

الأيام سنوية الثالث

تأملات في منزلة أمير المؤمنين
لؤي



الكتاب منقوده الثالث

تأملات في مزامير يا لهو لوزي

**Contemplation of Some
Psalms of Morning Prayer
By H. H. Pope Shenouda III**

4th Print

الطبعة الرابعة

September 2002

سبتمبر ٢٠٠٢

Cairo

القاهرة

1.S.B.N. 977 - 2342 - 29 - 4



قداسة البابا العظيم للأنبا سنبوثة الثالث

مقدمة الكتاب

المزامير هي كنز للتأملات الروحية .

لذلك تستخدمها الكنيسة في صلواتها لايومية ، سواء الصلاة الخاصة للأفراد ، أو صلوات المؤمنين داخل الكنيسة ، أو الصلوات الطقسية : في عشية وياكر والقداس الإلهي .

وقد نشرنا لكم من قبل بعض التأملات في المزامير :

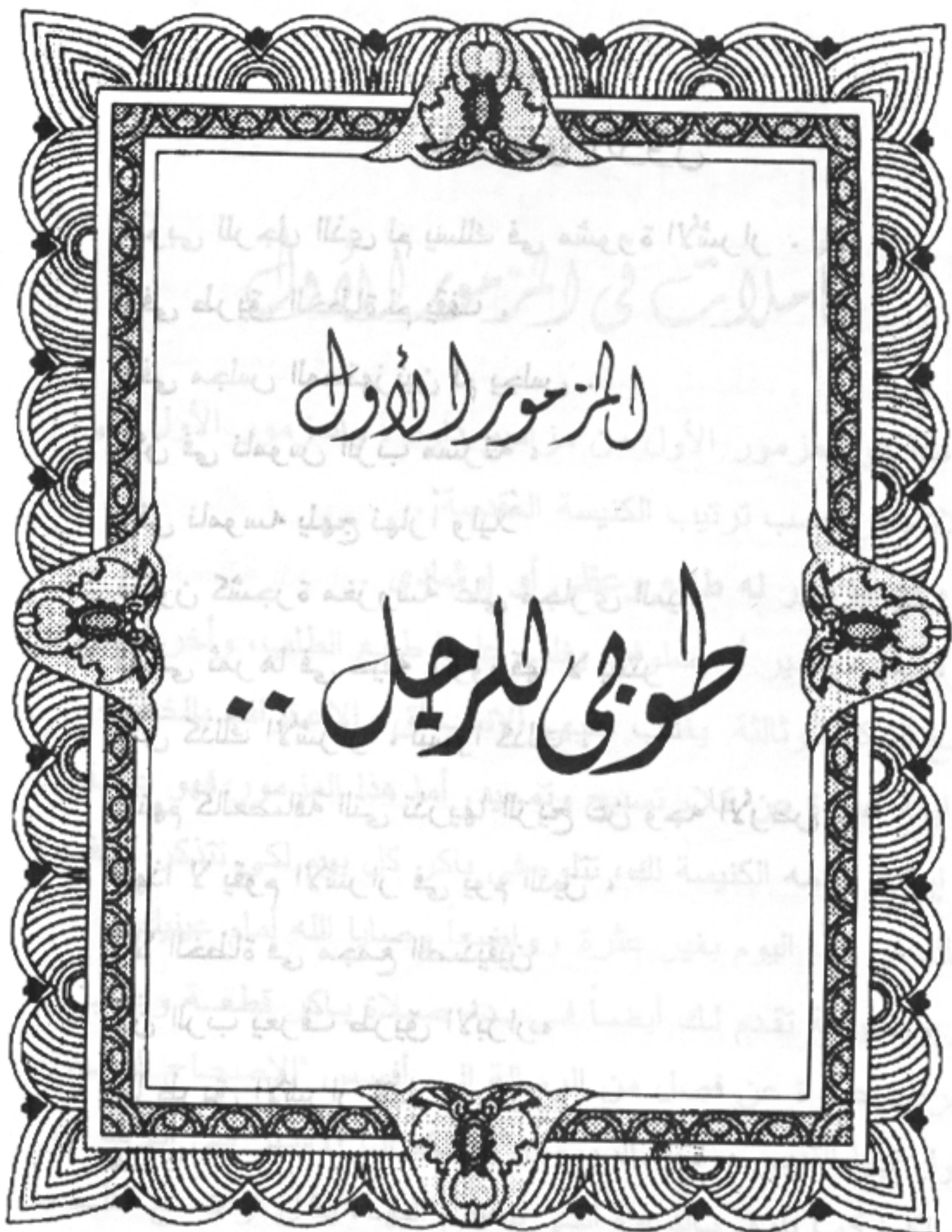
منها تأملات في مزامير الغروب . وتأملات في المزمور الثالث (يارب لماذا) ، وفي المزمور السادس (يارب لا تبكتني بغضبك) ، وفي المزمور العشرين (يستجيب لك الرب في يوم شدتك) . وفي المزمور الخمسين (أرحمني يا الله) كعظيم رحمتك) .

وفي هذا الكتاب نقدم لك تأملات في أربعة مزامير :

وهي : المزمور الأول : طوبى للرجل .

مزمور ١١٢ (١١٣) : سبحوا الرب أيها الفتيان .

مزمور ٦٢ (٦٣) : يا الله أنت إلهي إليك أبكر .



المزمور الأول

طوبى للرجل ..

والوداعة وطول الأناة، محتفلين بعضهم بعضاً بالمحبة .. إلخ

المزمور الأول

طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار .

وفى طريق الخطاة لم يقف .

وفى مجلس المستهزئين لم يجلس .

لكن فى ناموس الرب مسرته ،

وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً

فيكون كشجرة مغروسة على مجارى المياه

تعطى ثمرها فى حينه ، وورقها لا ينتثر

ليس كذلك الأشرار ، ليسوا كذلك .

لكنهم كالعصافة التى تذرّيتها الريح عن وجه الأرض .

فلهذا لا يقوم الأشرار فى يوم الدين ،

ولا الخطاة فى مجمع الصديقين

لأن الرب يعرف طريق الأبرار ،

أما طريق الأشرار فتباد .

هللوا

تأسدت في المزمور الأول

هذا هو المزمور الأول من مزامير داود ، والمزمور الأول في صلاة باكر حسب ترتيب الكنيسة المقدسة .

وهو مزمور له طابع وعظي أو إرشادي .

فهناك مزامير أو صلوات يغلب عليها طابع الطلب، وأخرى لها طابع الشكر، وثالثة يغلب عليها الإنسحاق والإعتراف بالخطية ، ورابعة عبارة عن كلام تسبيح وتمجيد . أما هذا المزمور فهو عظة، أو إرشاد تقدمه الكنيسة لك، تتلوه في باكر كل يوم لكي تتذكر كيف تسلك في هذا اليوم بغير عثرة ، واضعاً وصايا الله أمام عينيك .

والكنيسة تقدم لك أيضاً في بدء صلاة باكر قطعة وعظية أخرى، عبارة عن فصن من الرسالة إلى أفسس "الإصحاح الرابع" يقول فيها القديس بولس الرسول "أسألكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التي دعيتم إليها، بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة، محتملين بعضهم بعضاً بالمحبة .. إلخ" .

هذا الفصل من أفسس ، وهذا المزمور ، إرشاد لازم فى بدء اليوم .

يشابههما مزمور آخر من مزامير باكر ، له نفس الطابع ، هو المزمور ١٤ حيث يقول فيه المصلى "يارب من يسكن فى مسكنك ، أو من يحل فى جبل قدسك : إلا السالك بلا عيب ، الفاعل البر ، المتكلم بالحق فى قلبه ، الذى لا يغش بلسانه ، ولا يصنع بقريبه سوءاً .. إلخ" . إنه أيضاً مزمور وعظ وإرشاد ، يوحى للمصلى كيف يسلك فى يومه ليرضى الرب .

المسألة إذن ليست مجرد صلاة ، إنما هى أيضاً سلوك .

وعبارة سلوك تكرر فى كل هذه الأمثلة الثلاثة فى صلاة باكر : فكما وردت فى هذا المزمور (مز ١ : ١) ، وردت أيضاً فى مزمور (١٤ : ٢) وكذلك فى (أف ٤ : ١) . لأنه قد علمنا الرب قائلاً "ليس كل من يقول لى يارب يارب ، يدخل ملكوت السموات . بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات" (مت ٧ : ٢١) .

وهذا المزمور يعلمنا كيف نعمل إرادة الآب ، لكى يقبل صلاتنا .

ولكى لا يوبخنا بقوله "هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً" (مت ١٥ : ٨) (أش ٢٩ : ١٣) .

.. فبصالح لنصعب ونصعب نعلمته ذلك لا نعلمه فعدنا مع

فما هي النصائح التي يقدمها لنا المرتل في هذا المزمور ؟ أنه يبدأ بقوله : طوبى :

"طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار " .

ويمكن أن تترجم "طوبى للإنسان .. " .

وحسن أن تبدأ أول كلمة في أول المزامير بعبارة الطوبى .

وهكذا بدأ ربنا يسوع المسيح عظته على الجبل بعبارة طوبى أيضاً .

إنها بشارة مفرحة ..

كلمة (طوبى)

ما معنى كلمة "طوبى" ؟

إنها تعنى أمرين هما السعادة والبركة .

لذلك فأنا لا أستريح مطلقاً لمن يترجم كلمة "طوبى" في العظة

على الجبل بكلمة "سعداء" ، فيقول: سعداء هم المساكين بالروح ..

سعداء هم الودعاء .. لأن هنا تركيز على السعادة فقط، واغفال

للبركة ، بينما لا توجد سعادة بدون بركة . وكلمة مطوب

Makarios تعنى البركة والسعادة معاً . وفي أهم الترجمات الإنجليزية

للكتاب تترجم بكلمة Blessed "مبارك" أو Happy "سعيد" .

وفي الترجمة السبعينية بدأ المزمور الأول بكلمة Blessed

"مبارك" ويبدأ كذلك في ترجمة :

New King James Version وفي Revised Standard version وفي

International version

وكذلك في الترجمة الأمريكية N.A.S.

الكل يجمعون على كلمة Blessed لأن البركة تحمل داخلها السعادة، وتكون أقرب إلى المعنى. على أنى لست أرى عبارة البركة كافية، فكلمة Makarios تحمل البركة والسعادة معاً، فيمكن أن تترجم بعبارة "مطوب" أو "مغبوط" ولذلك حسناً أن التطويبات ترجمت بكلمة Beatitudes كما في ترجمة كتاب القديس اغريغوريوس اسقف نيقص عن التطويبات . وكلمة طوبى كلمة عربية، فلماذا لا نستخدمها في ترجماتنا؟!

وما أجمل أن يرشدنا الوحي في أول المزامير إلى طريق السعادة والبركة .

فهذا هو الطريق الذى يريده لنا، من أول سفر التكوين، حيث وضع الله آدم وحواء فى جنة فيها كل أنواع الراحة . وفى نفس الوقت "باركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا وأملأوا الأرض واخضعوها.." (تك ١: ٢٨) . وهكذا كان الإنسان الأول أول من تمتع بالطوبى "السعادة والبركة" ، وإن كان لم يثبت فيها .

وأبونا نوح وأولاده، أراد لهم الرب السعادة إذ خلصهم من الطوفان. وأيضاً "بارك الله نوحاً وبنيه.." (تك ٩: ١) . فنالوا نفس بركة آدم وحواء، وإن كانوا أيضاً لم يثبتوا فيها، إذ أخطأ أولاد نوح.. ولعن كنعان (تك ٩: ٢٥) . فقد هذه الطوبى .

ومعلمنا داود النبي يبدأ بعض مزاميره بالطوبى والطرق الموصلة إليها .

فيقول "طوبى للذي غفر إثمه وسترت خطيته. طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية" (مز ٣٢: ١، ٢) . ويقول أيضاً "طوبى لمن يتعطف على المسكين. في يوم الشر ينجيه الرب" (مز ٤١: ١) . ويقول كذلك "طوباهم الذين بلا عيب في الطريق" (مز ١١٩: ١) . وتوجد الطوبى في كثير من مزاميره . فيقول "طوبى للرجل الذي جعل الرب متكله" (مز ٤٠: ٤) . كما يقول "طوبى لكل السكان في بيتك، يباركونك إلى الأبد طوبى لأناس عزهم بك" (مز ٨٤: ٤، ٥) أو "طوبى للرجل الذي نصرته من عندك" كما في ترجمة أخرى ولكن ماذا يقول المرتل عن الطوبى في المزمور الأول؟ .

هنا يضع لنا الوحي على لسانه ، أساساً روحياً للطوبى .
فمن هو هذا المغبوط صاحب الطوبى ؟ يجيب معلمنا داود ويقول:

نصيحة للسلوك

"طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار . وفى طريق الخطاة لم يقف. وفى مجلس المستهزئين لم يجلس" ..
وهنا يراعى التدرج فى التصرف ، وفى نوعية الصحبة الشريرة .

فالذى يلجأ إلى مشورة الأشرار ، ويطيعها ويسلك فيها، سيتدرج أن يقف فى طريقهم ، أى يسايرهم ويعرف سبلهم . فإن فعل هذا سيأتى عليه الوقت الذى يجلس فى مجالسهم . والجلوس يعنى الاستقرار، وهو أصعب من الوقوف فى الطريق . وهذا الوقوف أصعب من مجرد سماع المشورة .

كما أن الأشرار والخطاة ، أقل من المستهزئين ، الذين يهزأون بالسيرة المقدسة وبكلام الله . ويتكلمون على الناس الفضلاء ، ويحيون حياة اللامبالاة. ويجذبون غيرهم إلى أسلوبهم. لذلك تسميهم بعض الترجمات الوبائين ، أى الذين هم مثل الوبأ ، المرض المنتشر ، كل من يختلط به يصاب بالعدوى .

فالكنيسة هنا تنصح أولادها بالبعد عن العثرات ...

تقدم لهم هذه النصيحة فى كل صباح، حتى يحترسوا، لأن

"المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو١٥: ٣٣) .

فتصحهم بأنهم إن كانوا قد خطوا خطوة، فلا يتدرجون إلى غيرها: فمن سمع مشورة خاطئة، لا يسلك فيها. وإن سلك يقيم لنفسه حدوداً، فلا يقف مع الخطاة في طريق واحد. وإن فعل ذلك، فلا يجلس في مجالسهم ، ولا يختلط بالمستهزئين ..

يبعد عن الخطوة الأولى ، فهذا افضل . وهذه الخطوة هي :

مشورة المنافقين

تخير أصدقاءك جيداً ، ولا تختلط بفكر غريب، ولا بنصيحة بطالة أو مشورة خاطئة . وكل توجيه تسمعه من أى إنسان كان، ضعه في ميزان وصية الله الصالحة، هذا إن كان فى ناموس الرب مسرتك ...

لا تسلك إذن فى مشورة الأشرار، مهما كانت تبدو نافعة . فمن هم هؤلاء الأشرار الذين ترفض مشورتهم ؟

قد يكون الأشرار هم الشياطين ، الذين سبق لنا فى المعمودية أن جحدنا كل حيلهم الرديئة والمضلة . ولكنهم لا ييأسون من تقديم الفكر تلو الفكر . ومعلمنا بولس الرسول يقول عن الشيطان "لأننا لا نجهل أفكاره" (٢كو٢: ١١) .

وقد يكون الأشرار هم الناس الأشرار بكل أفكارهم الخاطئة .
وقد ينطبق هذا المزمور على أناس أبرار أو قديسين ، ولكنهم
قدموا مشورة خاطئة ، كما حدث مع القديسة رفقة حينما قدمت
لإبنها يعقوب فكراً خاطئاً خدع به أباه اسحق ليسرق منه بركة
أخيه. وكان أبونا يعقوب يعرف أن مشورة أمه هي شر قد ينال
عليه لعنة لا بركة . ولكنها طمأنته بقولها "لعنتك على يا ابني"
(تك: ٢٧ : ١٢ ، ١٣) . وسلك يعقوب في مشورة أمه . وكانت سقطة
له .

ومثال رفقة في مشورتها ، سلك القديس بطرس مع السيد

المسيح .

وذلك حينما أراد أن يبعده عن الصليب، مستكثراً ذلك عليه،
بقوله "حاشاك يارب لا يكون لك هذا" . فسمع انتهار الرب له قائلاً
له "اذهب عنى يا شيطان. أنت معثرة لى" (مت: ١٦ : ٢٢ ، ٢٣) .
كانت مشورة من الشيطان، نطق بها القديس بطرس الرسول !
لذلك نحن لا نوافق على الطاعة العمياء .

فالطاعة ينبغي أن تكون حكيمة وبصيرة . وكما قال الرسول
عن طاعة الوالدين "أطيعوا والديكم فى الرب . لأن هذا حق"
(أف: ٦ : ١) . أما خارج الرب، فلا توجد طاعة ، لأنه "ينبغي أن

يطاع الله أكثر من الناس" (أع ٥: ٢٩) .
المشورة الخاطئة قد تكون من الشيطان ، أو من الناس أياً كانوا ،
أو من داخل الإنسان ذاته ، من أفكاره أو رغباته الشريرة .
وأول سقطة للإنسان ، كانت من سلوكه في مشورة الأشرار .
جاءت الحية "الشيطان" . وقدمت مشورة شريرة لأبنا حواء ،
فسلكت فيها وسقطت . وحواء قدمت نفس المشورة لأبينا آدم . وسلك
كلاهما في مشورة الأشرار . وأكلا من الشجرة المحرمة ،
وطردهما الله من الفردوس .



لا تقل أنا أستطيع أن أحفظ نفسي مهما اختلقت بالأشرار !!

فسليمان الحكيم نفسه ، بعد خلطة خاطئة عن طريق زواجه
بالغريبات ، لم تكن طريقه مستقيمة أمام الله ، وأخطأ (امل ١١) ،
واستحق العقوبة من الله... وأنت لست أحكم من سليمان .. وإن لم
تخطئ اليوم ، قد تخطئ غداً أو بعد غد.. وعلى الأقل ، من الناحية
الإيجابية لا تنمو ولا تستفيد .

المزمور يقول لم يسلك ، ولم يقل لم يسمع ...

فأنت لا تضمن عدم السماع ، ما أكثر الذين يعرضون عليك
مقترحات وأفكاراً ومشورات . لكن المهم أنك سمعتها ، لا تسلك

فيها. بل يكون لك الإفراز الذي تميز به المشورة الخاطئة، والإرادة الصالحة التي تمنعك من التنفيذ. إن الشيطان عرض على السيد المسيح ثلاثة أفكار ومقترحات. ولكن السيد رد عليها، وانتهر الشيطان أخيراً (مت ٤).

لا تسلك في المشورة الخاطئة، ولا تقف في طريق الخطاة. أي إن عبرت على هذا الطريق، فاسرع باجتيازه ولا تقف فيه...

إنه طريق خاطئ، وقوفك فيه يعثرك، وقد يعثر غيرك. أمثال ذلك إن عرضت عليك الشياطين فكرة، فلا تقف معها، بل اسرع بتركها ولا تتأمل تلك الفكرة، لأن تذكرك الشر يلبس الموت. أنت سائر في طريق الحياة وسترى أمامك طرق الخطاة، فلا تقف فيها، حتى إن حاولوا إقناعك بمشورتهم أنها نافعة. فالكتاب يقول "توجد طرق تبدو للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت" (أم ١٤: ١٢) (أم ١٦: ٢٥).

وفي مجلس المستهزئين لا تجلس

فهؤلاء المستهزئين لهم طبيعة الإستهتار بكل القيم، واللامبالاة، جلستهم لا تمجد الله، وقد تطول. وقد تغير أفكارك، وقد تتعود

أسلوبهم . وتصير كواحد منهم . وتكون قد تدرجت من سماع المشورة، إلى السلوك فيها إلى الوقوف في الطريق، إلى الجلوس مع المستهزئين .

لقد تدرج لوط ، حتى جلس في مجالس سادوم .
" وكان البار بالنظر والسمع - وهو ساكن بينهم - يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة" (٢بط ٢: ٧، ٨) . بل قال عنه القديس بطرس الرسول أنه كان "مغلوباً من سيرة الأردياء" لولا أن الله أرسل له ملاكين لانقاذه، واخراجه من ذلك المكان النجس. وقيل له : " اهرب لحياتك .. لا تقف في كل الدائرة .. لئلا تهلك" (تك ١٩: ١٧) .

كل هذا عن السلبيات . فماذا قال المزمور عن الإيجابيات؟

لكن في ناموس الرب مسرته

تحدثنا عن الطوبى التي للإنسان الذي لم يسلك في مشورة الأشرار كمشورة الحية لحواء (تك) ، ومشورة إيزابل لأخاب (امل ٢١) ، ومشورة أعداء المسيح لبيلاطس (مت ٢٦: ٢٦) . ولا حتى في المشورة الشريرة ، وإن صدرت من أناس قديسين مثل مشورة القديسة رفقة لإبنها يعقوب (تك ٢٧) ، ومثل مشورة القديس بطرس حينما قال "حاشاك يارب" (مت ١٦) .

إذن هذا المزمور يدعو إلى البعد عن العثرات .. عن كل مصدر تأتي منه الخطية .

ليس فقط من جهة الناس ، الأشرار والخطاة والمستهزئين وإنما أى مصدر آخر معثر ، حتى لو كان كتاباً أو مجلة أو صورة .. أو مكاناً من الأمكنة أو فكراً يخطر لك .

ابعد عن مصادر الخطية ، لأنها تبرد روحك ، وتضعك تحت تأثير خارجى خاطئ ، وتعرضك لحرب لا تدري نتائجها حتى إن انتصرت عليها ، ربما تترك فى عقلك الباطن رواسب تفقدك نقاوتك .



ومع ذلك فالبعد عن الشر لا يكفى . وإنما ينبغى بالأكثر تقوية الحياة الروحية ومحبة الله فى القلب .

وجمع الأمرين معاً واضح فى قول المزمور "حد عن الشر وافعل الخير" (مز ٣٣) . وايضاً فى شهادة الرب عن أيوب الصديق إنه "رجل كامل ومستقيم ، يتقى الله ويحيد عن الشر" (أى ١ : ٨) .

إن كانت الناحية الإيجابية أساسية هكذا فى الحياة الروحية ، فما هى بداية الطريق إذن؟ يقول المزمور .

لكن فى ناموس الرب مسرته :
كلمة ناموس تعنى شريعة أو قانون . وناموس الرب هنا تعنى وصايا الرب وأوامره ، أو تعنى كلام الرب وكتابه بوجه عام .

في ناموس الرب مسرته ، أي أنه يحب كلام الله .
ليست قراءة الكتاب المقدس بالنسبة إليه واجباً أو عبئاً، إنما
موضع لذة، ومنتعة روحية لذلك يقول داود النبي في المزمور
(١١٩) "كلماتك حلوة في حلقى، أفضل من العسل والشهد في فمي".
"محصن قولك جداً، عبدك أحبه" "أبتهج أنا بكلامك، كمن وجد غنائم
كثيرة" "لهذا احببت وصاياك أفضل من الذهب والجوهر".
وأيضاً في كلام الله تعزية له وخلصاً .

فيقول للرب في صلواته :

"اذكر لعبدك كلامك الذي جعلتني عليه أتكلم، هذا الذي عزاني
في مذلتى" وأيضاً "تذكرت أحكامك يارب منذ الدهر فتعزيت".
ويعتبر أن كلام الرب هو الذي يحفظه من الضياع والهلاك ، فيقول
"لو لم تكن شريعتك هي تلاوتي، لهلكت حينئذ في مذلتى" (مز ١١٩)
أنه يشعر بفائدة شريعة الرب له وبحكمة وصاياه .

لذلك يقول له "مصباح لرجلي كلامك، ونور لسبيلي" (مز ١١٩).
إنه الذي ينير لى الطريق في ظلمة هذا العالم إنه الذي "يصير
الجاهل حكيماً". فيقول "وصية الرب مضيئة تنير العينين عن بعد".
"شهادة الرب صادقة تعلم الأطفال . فرائض الرب مستقيمة
تفرح القلب" ناموس الرب كامل يرد النفس.. شهادات الرب صادقة

تصير الجاهل حكيماً" "اشهى من الذهب والأبريز، وأحلى من العسل
وقطر الشهد" (مز ١٩) . ولذلك كله :

يلهج في ناموسه النهار والليل :

يقول للرب "اشتقت إلى خلاصك يارب، وناموسك هو لهجى"
"تكلمت بشهادتك قدام الملوك، ولم أخز، ولهجت بوصاياك التى
أحببتها جداً" "بفرائضك ألهج ، ولا أنسى كلامك" "سبقت عيناي
وقت السحر، لأتلو فى جميع أقوالك" "شهادتك هى درسى" "ناموسك
هو درسى" (مز ١١٩) .

لذلك يطلب التعمق فى فهم كلام الله .

ويقول للرب "اكشف عن عيني ، فأأمل عجائب من ناموسك"
"غريب أنا على الأرض، فلا تخف عنى وصاياك" .. لماذا يطلب
هذا الكشف وهذه المعونة الإلهية؟ لأنه يقول "لكل كمال رأيت
منتهى.. أما وصاياك فواسعة جداً" (مز ١١٩) . كلما تأملت كلام
الله ، تجد معانى جديدة وأعماقاً جديدة، وينكشف لك ما لم تكن
تدركه من قبل .

✠ ✠ ✠

عبارة "وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً" تذكرنا بوصية الرب

ليشوع بن نون" .

إذ قال له الرب "لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك، بل تلهج

فيه نهاراً وليلاً، لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه.
لأنك حينئذ تصلح طريقك، وحينئذ تفلح" (يش ١: ٨) .

لا يقل أحد ، ليس لدى وقت .
فيشوع بن نون كان قائد لجيش وقائداً لشعب، وليست
مشغولياتك أنت مثله.. ومع ذلك قال له الرب "لايبرح سفر هذه
الشرية من فمك . بل تلهج فيه نهاراً وليلاً" ..

ونفس الوضع بالنسبة إلى داود النبي والملك ، الذي كان رئيساً
لإمبراطورية واسعة ولم يكن له وزراء متخصصون .. كما كان
رباً لأسرة كبيرة.. ومع ذلك يتكلم أيضاً عن لهجه في ناموس
الرب، وتلاوته ودراسته.. ولم يعتذر بقلة الوقت ...

بل إنه قبل داود ، وقبل يشوع ، ومن أيام موسى :
كانت هذه هي وصية الرب في سفر التثنية :

فقال "لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك.
وقصها على أولادك. وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي
في الطريق، وحين تنام وحين تقوم" (تث ٦: ٦، ٧) .

إذن اللهج في ناموس الرب لا يكون فقط على المستوى الفردي،
وإنما أيضاً على المستوى العائلي ..

والسؤال الآن : هل أنت كذلك ؟

إن هذه العبارة التي تتلوها من هذا المزمور في صلاة باكر، ليست مجرد صلاة، وإنما هي أيضاً عظة، هي وصية لك، تحكم بها على نفسك، وتختبرها هل أنت تجد مسرتك في تلاوة وصايا الرب؟ هل تلهج فيها النهار والليل؟ هل تحبها وتشتاق إليها؟ هل تقصها على أولادك؟ هل تتكلم بها حين تجلس في بيتك؟ هل تتأمل فيها حين تمشى في الطريق؟ وهل تتذكرها حين تنام وحين تقوم؟ هل تفرح بكلام الله كمن وجد غنائم كثيرة؟ وهل هي أحلى من العسل والشهد في فمك؟

تأمل إذن في فائدة كلمة الرب لك .
حقاً ما أجمل ما قاله القديس يوحنا الحبيب للشباب، في رسالته الأولى "كتبت إليكم أيها الشباب، لأنكم أقوىاء، وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير" (١ يوحنا ٢: ١٤) .
إذن كلمة الله، إن ثبتت في العقل والقلب، تعطى قوة، وغلبة على الشرير .. ليس كل الشباب أقوىاء في الروح. ولكن الأقوياء هم الذين كلمة الله ثابتة فيهم . ولذلك غلبوا الشرير .
إن كلمة الله - كما قال الرب - هي روح وحياة (يوحنا ٦: ٦٣) .
إذن افهم روح الوصية، وحولها إلى جزء من حياتك .
تحب كلام الله، فتقرأ كلامه باستمرار، وتلهج فيه باستمرار

فثبتت الكلمة فيك، وتعطيك قوة . وترد بها على حروب الشياطين .
فكلما حاربتك خطية تضع أمامها وصية. فتجد استحياء داخلك من
وصية الرب . كما أن الوصية تحمل نعمة خاصة تساعدك وتقويك.

انظر كلمة الرب وفعاليتها في القديس أنطونيوس الكبير .

سواء وصية "إن أردت أن تكون كاملاً ، اذهب وبع كل مالك.." .
أو وصية "لا تهتموا بما للغد" .. أو أنظر كلمة الرب لبولس
الرسول "لا تخف بل تكلم ولا تسكت. لأنى أنا معك. لا يقع بك أحد
ليؤذيك" (أع ١٨ : ٩-١٠) بل تذكر كلمات الرب فى عظاته، حيث
قيل عنه إنه "كان يتكلم بسلطان" (مر ١ : ٢٢) . الكلمة لها سلطان
على الفكر والقلب والإرادة .

إنما يلزم لسلطان الكلمة ومفعولها ، أن يكون هناك استعداد

فى القلب .

فلا تجعل كلمة الرب تصل فقط إلى أذنيك وإلى عقلك، وإنما
بالأكثر تصل إلى قلبك، وتختلط بمشاعرك وتتحول إلى إرادتك.
وفائدة أن تلهج بالكلمة نهائياً وليلاً ، أنها تثبت فيك ولا تنساها.
وهكذا قال داود النبي "خبأت كلامك فى قلبى، لكى لا أخطئ إليك"

(مز ١١٩) .

أما البعد عن كلمة الله وفعاليتها ، فقد يهلك .

كما قال داود النبي أيضا "لو لم تكن شريعتك هي تلاوتي،
لهلكت حينئذ في مذلتى" (مز ١١٩). فإن كان نبياً عظيماً مثل داود
يخشى الهلاك إن ابتعد عن تلاوة كلام الله، فماذا نقول نحن عن
أنفسنا؟ كلام الله هو غذاء لنفسك وروحك، كما قال الكتاب :

"ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم
الله" (مت ٤ : ٤) (تث ٨ : ٣) .

بها تحيا روحك ، كما يحيا بالخبز جسدك .. وبكلمة الله يمكن
أن تحيا روحك في كل الظروف ...

فيمكن أن عبارة الليل والنهار تؤخذ بمعنى رمزى : أى فى
وقت الحزن وفى وقت الفرح، فى وقت التجربة وفى وقت السعة.
فى وقت التعرض للسقوط، وفى وقت الصعود إلى فوق.. فى كل
وقت.. حينما تكون الدنيا مظلمة من حولك، وحينما تكون مشرقة
ومضيئة . وماذا يحدث لك حينما تلهج فى كلمة الله ؟

تكون كشجرة مغروسة

على مجارى المياه ..

الماء يعطيها الحياة باستمرار . وأنت بالكلمة تأخذ غذاءك الروحي
باستمرار . وقد شرحت لك رموز المياه من قبل، فى عظمتنا عن

غسل الأرجل في كتاب "خميس العهد"، وفي محاضراتنا عن الرموز
ويكفي هنا أن نذكر قول الرب "من آمن بي.. تجرى من بطنه
أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين
أن يقبلوه" (يو ٧: ٣٨ - ٣٩) .

إذن المياه هنا ترمز إلى الروح القدس .

الروح "الناطق في الأنبياء" كما يقول قانون الإيمان .. الروح
الذي أوحى (٢بط ١: ٢١) كما قال الرب للرسول "لستم أنتم .
المتكلمين، بل روح أبيكم هو المتكلم فيكم" (مت ١٠: ٢٠). روح الله
يعمل في الكلمة حينما تتلوها وترددها وتصلي بها . ويعمل في
المزامير كما قال عنه الرب "قال داود بالروح.. (مر ١٢: ٣٦) .

هذا الماء هو الماء الحي ، أو ماء الحياة :

هذا هو الماء الحي الذي طلب الرب من المرأة السامرية أن
تشرب منه، قائلاً لها "من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا، فلن
يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه، يصير فيه ينبوع ماء ينبع
إلى حياة أبدية" (يو ٤: ١٠ - ١٤) . أو هو الماء الذي قال عنه الله
في العهد القديم "تركوني أنا ينبوع المياه الحية، لينقروا لأنفسهم
آباراً مشقة لا تضبط ماء" (أر ٢: ١٣) .

شجرة مغروسة على مجارى المياه .. وروح الله يرف على

وجه المياه (تك ١ : ٢) .

لاحظوا قوله "مجارى المياه" ولم يقل مجرى المياه .

والماء الجارى هو الماء النقى الحى، بينما الماء الراكد ماء فاسد. وهنا مجارى كثيرة للمياه تستقى منها نفسك .. كلمة الله ترويك ، وكذلك المزامير والصلوات والقداصات والتسابيح والتراتيل والألحان والتأمل ، والتناول .. حقاً ما أكثر مجارى المياه التى تغذى شجرة حياتك . وإن حدث وأبعدتها عن مجارى المياه، تذبل وتتساقط أوراقها ، ولا تعطى ثمرأ .

ولكن ماذا عن الشجرة المغروسة على مجارى المياه ؟

✠ ✠ ✠

تعطى ثمرها فى حينه وورقها لا ينتثر .

إن الله يريد من حياتك أن تكون مثمرة، إن بدأت حياتك بالتوبة، يقول "اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة" (مت ٣ : ٨) "كل شجرة لا تصنع ثمرأ جيداً تقطع وتلقى فى النار" (مت ٣ : ١٠) . وما هو هذا الثمر؟ يقول الرسول "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام، طول أناة لطف، صلاح إيمان، وداعة تعفف" (غل ٥ : ٢٢ - ٢٣) . فهل فى حياتك هذه الثمار ؟ أم يبكتك المزمور؟ تذكر قول الرب عن أهمية الثمار "من ثمارهم تعرفونهم .. كل شجرة جيدة تصنع ثماراً جيدة" (مت ٧ : ١٦ - ١٧) .

تعطى ثمرها في حينه ..

المؤمن البار هو شجرة مثمرة :

لابد أن يعطى ثمرأ ، لأن عصارة الحياة تجرى فيه، لأنه مغروس على مجارى المياه حياته لها ثمر . كلماته لها ثمر لا يمكن أن ترجع فارغة (أش ٥٥ : ١١) . خدمته لها ثمر ، ثلاثين وستين ومئة (مت ١٣ : ٢٣) . كل هذه الثمار تدل على عمل الروح فيه، وعلى شركته مع روح الله .. ومن ثمارهم تعرفونهم (مت ٧ : ١٦) .

وهذا الثمر دليل على البركة :

وهكذا يقول الرب فى اصحاح البركة "مباركة تكون ثمرة بطنك وثمره أرضك" (تث ٢٨ : ٤) . وهذا الإثمار هو طبيعة الشجر كما أرادها الله منذ البدء ، حينما خلق "كل شجر فيه ثمر" (تك ١ : ٢٩) .. فهل أنت شجرة مثمرة ؟ ما هو نوع ثمرك؟ وما كميته أو متى تعطى هذا الثمر؟ .. يقول المزمور : تعطى ثمرها فى حينه .

فما معنى : تعطى ثمرها فى حينه ؟

أول معنى أنك لا تتأخر فى عمل الخير ، كما يقول الكتاب "لا تمنع الخير عن أهله ، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله لا تقل لصاحبك: اذهب وعد فأعطيك غداً وموجود عندك" (أم ٣ : ٢٧-٢٨) .. ربما إذا تأخرت فى عمل الخير ، تحدث أضرار أو تضيع

الفرصة وتقدم ..

أيضاً تعطى ثمرها في حينه قد تعنى معنى آخر ، وهو :

✠ ✠ ✠

تعطى ثمرها في الحين المناسب له ، حينما يكون لازماً .

فحين يحتاج الناس ، تعطى ثمر المحبة والرحمة والخدمة، وفي فترات السكون ، تعطى ثمر الصلاة والتأمل ، تعطى المشاركة الوجدانية في الحين المناسب "فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين" (رو ١٢: ١٥) .. حين يسئ إليك أحد، تعطى ثمر الإحتمال .. حين تصيبك تجربة، تعطى ثمر الصبر أو ثمر الشكر .. حينما تسمع مديحاً ، تعطى ثمر الإبتضاع ، وترجع الفضل لله ...

✠ ✠ ✠

اللطيف في الشجرة ، أنها تعطى ثمرها لغيرها ..

جذرها يمتد في الأرض ويمتص الغذاء والماء ، ساقها يصعد إلى فوق حاملاً العصارة للفروع وللثمار والأوراق . وتحتمل الشجرة الحر والبرد وعصف الريح . وكل ذلك لكي تقدم ثمرأ ينتفع به الغير . فثمرها لغيرها لا لنفسها . وكل تعبها لكي تغذى الآخرين وتسعدهم وتغنيهم .. إنها درس ، هذه الشجرة المعطاءة التي تعيش لتعطى ...

ليتنا نتذكر هذا ، وباستمرار نعطي ثماراً لغيرنا .

ونعطيهم هذه الثمار في الحين الحسن ، وبالقدر الوافى
وباستمرار .. فلا ننقطع إطلاقاً عن العطاء . والماء الذى نمتصه
من مجارى المياه والذى يرمز إلى عمل الروح ووسائل النعمة، هو
أيضاً يكون لتقديم ثمار جديدة .. ليست فقط ثمار الشجرة لغيرها،
بل حياتها كلها لغيرها.

والثمر ليس هو فقط عمل البر ، إنما هو الأبناء أيضاً .

كما قال الرب لأدم وحواء "أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض"
(تك ١: ٢٨) . وكان يعنى أنجابهم .. ولعل هذا أيضاً يكون درساً
للآباء والأمهات أن يكون نسلهم ثمرة لخير المجتمع الذى يعيشون
فيه ولبناء الملكوت . وحينئذ يقول الرب لكل منهم "مباركة تكون
ثمرة بطنك..." (تث ٢٨: ٤) .



الإنسان شجرة مثمرة ، تعطى ثمرها فى حينه .. وماذا أيضاً ؟
يقول المزمور : وورقها لا ينتثر ...

ورقها لا ينتثر

فما معنى عبارة "ورقها لا ينتثر" .
إن الورق بلاشك يعطى جمالاً ورونقاً للشجرة ...
والشجرة العارية من الأوراق لا يكون لها منظر . ولعل

المقصود هنا ، أنه لا يكفي أن يكون الإنسان ذا ثمر ، وإنما أيضاً
يكون قدوة لغيره . كما يقول الرب "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس ،
لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات" (مت ٥ :
١٦) . وكما قال الرسول "معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس"
(رو ١٢ : ١٧) وهكذا لا يكونون عثرة في شئ بل يكونون رائحة
المسيح الذكية أمام الكل (٢كو ٢ : ١٥) .

المؤمنون الأبرار كالأشجار الدائمة الخضرة .

ليسوا أشجاراً خريفية (يه ١١) . وإنما كما أنهم يقدمون ثمرأ ،
كذلك يقدمون ورقاً .. وورقهم لا ينتثر . بل يمكن أن يستظل تحته
الناس .. ولكنهم في نفس الوقت لا يكونون ورقاً بلا ثمر ، كشجرة
التين التي لعنها السيد المسيح (مت ٢١ : ١٩) . لا يكونون مجرد
مظهر بلا جوهر .. كل هذا من صفات الرجل البار ، وماذا أيضاً؟

وكل ما يعمله ينجح فيه...

إنها صفة لازمة للأبرار . ليس فقط النجاح ، إنما النجاح في كل
شئ ، في كل ما يعملونه .

ما أجمل ما قيل عن يوسف الصديق " وكان الرب مع يوسف ،
فكان رجلاً ناجحاً " ورأى سيده أن الرب معه ، وأن كل ما يصنع

كان الرب ينجحه بيده " (تك ٣٩: ٢، ٣) . وفعلاً كان يوسف ناجحاً
كابن، وكخادم، وكسجين ، وكوزير .. ناجحاً في كل عمل ...
وما أجمل أيضاً ما قاله القديس يوحنا الحبيب لتلميذه غايس "في كل
شئ أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً كما أن نفسك ناجحة" (٣يو ٢) .
النجاح عموماً بركة من الرب ، وفي نفس الوقت مكافأة
للأمانة في العمل والطاعة .

قد يسمح الله بفشل الإنسان الذي يعصى وصايا ، كعقوبة إلهية
على عصيانه، كما ورد في اللعنات التي سجلها سفر التثنية، وهي
كثيرة (تث ٢٨) وقد يكون الفشل وعدم النجاح نتيجة طبيعية لأخطاء
الإنسان .

وبعكس ذلك نجاح من يتم وصايا الله، كما قال الرب ليشوع
بن نون "لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك، بل تلهج فيه نهاراً
وليلاً ، لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه. لأنك حينئذ
تصلح طريقك ، وحينئذ تفلح " (يش ١: ٨) .

الفشل وعدم النجاح هو جزء من تساقط الأوراق .
حيث يتعري الإنسان من المظهر الحسن أمام الغير ...
فيعثرون، ويقولون: كيف يكون أولاد الله هكذا؟! كيف أن الذين
يذهبون إلى الكنيسة أو يخدمون فيها، يرسبون في امتحاناتهم ، أو

يفشلون في عملهم ..!؟ وكما قال السيد المسيح "إن كان النور الذى
فيك ظلاماً، فالظلام كم يكون!؟" (مت ٦: ٢٣) .

إن سقطت أوراقكم، فصورة المثاليات أمام الناس تهتز ...
وربما يتساءلون فى قلوبهم هل حقاً هذه الشجرة مغروسة على
مجارى المياه!؟ وإن كانت هكذا، فلماذا تتساقط أوراقها!؟ ولماذا
تفشل فى حياتها!؟ إنها عثرة ...

وهنا نقصد الفشل الذى يكون نتيجة الخطأ والإهمال ، وليس
الذى هو نتيجة لحروب خارجية وحسد الشياطين ، أو ما يقوله
مزمور آخر "كثيرة هى أحزان الصديقين" .. فى كل هذه يكونون
ناجحين من الداخل، وورقهم لا ينتثر، بصبرهم واحتمالهم
وبشاشتهم...

لذلك إن وجدت نفسك فاشلاً فى شىء ، راجع نفسك .
هل هذا بسبب خطأ ، أو إهمال ، أو سوء تصرف!؟ أم هى
محاربة خارجية لا دخل لإرادتك فيها . وباستمرار حاول أن تكون
ناجحاً فى كل عمل تعمله ، وأن تؤدى كل عمل بأمانة ودقة وجدية
وبضمير صالح .

لأن القاعدة الأساسية أن يكون الإنسان البار ناجحاً ، وكل ما
يعمله ينجح فيه .

ليس كذلك الأشرار

ليس كذلك الأشرار ، ليس كذلك ...

الأشرار يفقدون بركة الله ، وأيضاً يحصدون نتائج أخطائهم

إنهم كما يقول الرسول "غيوم بلا ماء.. أشجار خريفية بلا ثمر .."

(يه ١٢) .

ولعل الكتاب يقصد بالأكثر النجاح الروحي ، أو النجاح الحقيقي .

لأن هناك نجاحاً زائلاً أو زائفاً . وهنا تواجهنا المشكلة التي عاتب

فيها أرمياء النبي الرب الإله قائلاً :

لماذا تنجح طريق الأشرار ؟ اطمأن كل الغادرين غداً (أر ١٢) :

١٢٠ :

لماذا ينجح الذى يسلك بالرشوة ، والذى يسلك بالتعلق والرياء ،

والذى يغطى أموره بالكذب والخداع؟! ولماذا ينجح السارق والظالم

والعنيف والقاسى ؟

بلاشك ليس هذا هو النجاح الحقيقي المقصود . لأن كل هؤلاء

فشلوا فى الداخل . فشلوا فى القيم والمثل والروحيات ، ولعلمهم

يذكروننا بقصة الغنى الذى عاصر لعازر المسكين ، وكيف أن هذا

الغنى "استوفى خيراته على الأرض" لذلك فنصيبة فى العالم الآخر

هو العذاب .

والقديس أوغسطينوس يشبههم بالدخان الذي يصعد إلى فوق
وينتشر ، وفيما هو يرتفع وينتشر ، يتبدد .

بينما النار تبقى تحت ، وهي محتفظة بحرارتها وفاعليتها ...

أما المزمور فيتحدث عن النجاح الحقيقي ، حتى لو أحاطوا به
مثل النحل حول الشهد ، والتهبوا كنار في شوك " (مز ١١٧) .
يوسف الصديق القى في السجن . ولكنه في داخله ، وأمام الله ، كان
إنساناً ناجحاً ، بعكس المرأة التي اضطهدته ... ! (تك ٣٩) .

لذلك لا نحسد الأشرار على نجاحهم الزائف ، مع إنهيار
أرواحهم وسقوطها ، بل يقول عنهم المزمور أنهم :

كالعصافه

كالعصافه التي تذريها الريح عن وجه الأرض .

ربما ظن قايين أنه انتصر على هابيل وقتله . ولكن قايين في

الحقيقة قد قتل نفسه ، وصار كالعصافه التي تذريها الريح ، تائهاً

وهارباً في الأرض " (تك ٤ : ١٤) بينما هابيل البار لم يمت بالحقيقة

وقد طالب الرب بدمه الذكي (تك ٤ : ١١) (مت ٢٣ : ٣٥) "وهو وإن

مات ، يتكلم بعد" (عب ١١ : ٤) .

فرق كبير بين الشجرة والعصافة .

الشجرة الثابتة في الأرض ، وحفنة التبن التي تطيرها الريح عن وجه الأرض ! .. ومهما ارتفع التبن إلى فوق ، فهو تبن .. إننا نحتاج إلى أن نقيس الأمور بمقاييس روحية لنعرف أن الأبرار كالشجرة الثابتة ، والأشرار كالعصافة التي تديرها الريح . نعرف الفرق بين يوحنا المعمدان الذي أخذوا رأسه على طبق، وكان أعظم من ولدته النساء (مت ١١) . وأعظم من هيرودس الذي قتله .. وكان كالعصافة ، ومرتجفاً وخائفاً .. لأنه :

لا سلام ، قال الرب للأشرار (أش ٤٨ : ٢٢) .

ويقول الكتاب أيضاً " سراج الأشرار ينطفئ" (أى ٢١ : ١٧) . باعتبارهم تبناً أو قشاً أو عصافة ، ترفعهم الريح إلى فوق ، ومع ذلك لا ثبات لهم ولا سلام ولا قيمة ، مهما ارتفعوا .. وأيضاً :

لا يقوم الأشرار

لا يقوم الأشرار في يوم الدين .

لا تعنى هنا القيامة من الأموات فهي للجميع كما قال الكتاب "يسمع جميع الذين في القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يو ٥ :

٢٨، ٢٩) .

أما عبارة لا يقوم الأشرار هنا، فمعناها لا تقوم لهم قائمة لا يقدر أن يقفوا أمام الله من شدة خزيهم، ولا يستطيعون أن يبرروا انفسهم أمام العدل الإلهي .. أو لا يظل أحد منهم قائماً أمام الله في يوم الدين، إذ يقول لهم "اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم.. إني لم أعرفكم قط" (مت ٧: ٢٣) .. هم لا يستطيعون أن يقوموا في مجمع الأبرار. حالياً يختلط القمح بالزوان (مت ١٣) . ولكن في يوم الدين ليسوا كذلك . الغنى في مكان ، ولعازر في مكان آخر وبينهما هوة عظيمة (لو ١٦: ٢٦) . لذلك قال "لا يقوم الأشرار في يوم الدين، ولا الخطاة في مجمع الصديقين" ، "لأن الرب يعلم طريق الأبرار أما طريق الأشرار فتباد ...

الرب يقول لهم لا أعرفكم ، أى لا تستحقون معرفتى ..

يطرحون في الظلمة الخارجية . وقد بادت كل طرقهم، ولم تعد

تتفعهم بشئ ، الريح تذرهم وتذرى طرقهم أيضاً .

كل مكائدهم نحو الأبرار تنتهى . وكل افتخارهم أيضاً يباد ،

وكذلك كل كرامتهم التى كانت لهم على الأرض ...



سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ
أَيُّهَا الْفَيْيَاقُ

سَبِّحُوا الرَّبَّ لِأَيَّامِ الْفِتْيَانِ

[مز ١١٤ (١١٣)]

- سبِّحُوا الرَّبَّ أَيَّامَ الْفِتْيَانِ . سَبِّحُوا الرَّبَّ .
- لِيَكُنْ اسْمُ الرَّبِّ مَبْرُكًا ، مِنْ الْآنَ وَإِلَى الْأَبَدِ
- مِنْ مَشَارِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغَارِبِهَا ، بَارَكُوا اسْمَ الرَّبِّ .
- الرَّبُّ عَالٍ عَلَى كُلِّ الْأُمَمِ ، وَفَوْقَ السَّمَوَاتِ مَجْدُهُ .
- مِنْ مِثْلِ الرَّبِّ إِلَهِنَا السَّاكِنِ فِي الْأَعَالِي .
- وَالنَّاظِرِ إِلَى الْمَتَوَاضِعَاتِ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ .
- الْمَقِيمِ الْمَسْكِينِ مِنَ التَّرَابِ ،
- الرَّافِعِ الْبَائِسَ مِنَ الْمَزْبَلَةِ ، لِكَيْ يَجْلِسَ مَعَ رُؤَسَاءِ شَعْبِهِ .
- الَّذِي يَجْعَلُ الْعَاقِرَ سَاكِنَةً فِي بَيْتٍ ، أُمَّ أَوْلَادٍ فَرِحَةٍ .

هللويّا ،

التسبيح

تسبيح الرب هو أعمق أنواع الصلوات .

لأن فيه يتجرد المصلي من ذاته ، ويتركز في الله وحده . فهو في صلاة التسبيح لا يقدم طلباً ، ولا يعترف بخطية ويسأل عنها غفراناً ، ولا يشكر من جهة شيء أخذه ... إنما هو يتأمل في صفات الله الجميلة ، ويتغنى بها .. إنه لا يصلي عن أحتياج شخصي ، وإنما عن حب ...

صلاة التسبيح هي طقس السارافيم .

أولئك الملائكة الذين وقفوا حول العرش الإلهي يقولون "قدوس قدوس قدوس ، رب الجنود ، الأرض مملوءة من مجدك" (أش ٦ : ٣) .
والكنيسة تقدم لنا التسابيح ، في كتاب الأبصلمودية ، في تسبحة الغروب ، وتسبحة نصف الليل . وفي تسابيح كيهك ، وفي تسبحة البصخة (أسبوع الآلام) . وسفر الرؤيا يقدم لنا تسابيح أخرى ..
كلها تماجيد لله ، بلا طلب .. كما نقول في تسبحة البصخة "لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد أمين" . وبمثل هذه التسبحة

نختم الصلاة الربية .

والمزامير مملوءة بالتسابيح ، يقول فيها المرتل .

"سبحى يا نفسى الرب" " سبحى الرب يا أورشليم" "سبحى الرب
أيتها الأرض كلها" "سبحوا الرب تسبيحاً جديداً" "سبحوا الرب
وباركوا إسمه. بشروا من يوم إلى يوم بخلاصه" وأيضاً "سبحوا
الرب أيها الفتیان" .

ومن العجيب أن صلاة الساعة التاسعة ، تحفل مزاميرها
بالتسابيح ، على الرغم أنها بمناسبة موت السيد على الصليب. فنحن
نمجد هذا الموت، الذى به تم الخلاص للبشرية . ولا نخجل من
موته، بل نفتخر به ، إذ كان فيه كل الحب للبشرية، وكل البذل ،
وعظمة الفداء ...

وتسبح الرب تشترك فيه الطبيعة أيضاً .

ففى المزمور ١٤٨ نقول "سبحى الرب أيتها الشمس وأيتها
القمر . سبحيه يا جميع كواكب النور . سبحيه يا سماء السموات، ويا
أيتها المياه التى فوق السموات .. سبحى الرب من الأرض يا أيتها
التنانين وكل اللجج . النار والبرد والثلج والضباب، الريح العاصفة
الصانعة كلمته . الجبال وكل الآكام" .

وفى المزمور ١٩ نقول "السموات تحدث بمجد الله ، والفلك

يخبر بعمل يديه " .

والتسبيح تشترك فيه الملائكة .

ليس فقط السارافيم (أش ٦) ، بل كل ملائكة الله . بل عجيب أن المرثل يطلب من الملائكة أن يشتركوا معه في التسبيح ، فيقول "سبحوا الرب يا جميع ملائكته ، سبحوه يا كل جنوده" (مز ١٤٨ : ٢) "باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه" (مز ١٠٣ : ٢٠) . بل الأطفال أيضاً ، كما دافع عنهم الرب عند دخوله أورشليم ، بقوله مكتوب :

"من أفواه الأطفال والرضعان هيأت تسبيحاً" (مت ٢١ : ١٦) (مز ٨ : ٢) .

إن المرثل يريد أن يشترك الكل في تسبيح الله . وما أجمل قوله "لأن كل الأشياء متعبدة لك يارب" .

فهل عندما تسمع نداء المرثل "سبحوا الله" ، تستجيب لذلك .
وهنا أسأل :

ما هو مقدار التسبيح في حياتك ؟

هل تمارسه ؟ هل دربت نفسك عليه ؟ هل تردد تسبحة الثلاثة تقديسات من كل قلبك ؟ هل تستخدم باقي صلوات التسابيح المحفوظة ؟ هل تقول لله مع المرثم : ليس لك شبيه يارب بين

الآلهة. يارب من مثلك !! تكلم مع الله عن ذاته، وعن حبك
لصفاته. تأمل في محبته ، في مغفرته ، في عظمته وجلاله .. قل
له كما في (مز ١١٩) :

محبوب هو اسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى :

ردد عبارة التسبحة "إسمك حلو ومبارك ، في أفواه قديسيك" ..
لاحظ أن الطلبات الثلاث الأولى في الصلاة الربية ، تدخل في نطاق
التسبيح "ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك.." .. إن الله
غير محتاج إلى تسبيحك. لكنك بتسبيحك له ، يتقدس فكرك .

يمكنك أن تسبح الله بلسانك ، وتسبحه بعملك .

وعن ذلك قال السيد الرب "فليضء نوركم هكذا قدام الناس ،
لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات" (مت ٥:
١٦) .. كذلك كما تسبحه بلسانك ، تسبحه بقلبك . كما نقول فى

التسبحة "قلبي ولساني يسبحان القدوس" .

المزمور

"سبحوا الرب أيها الفتیان . سبحوا اسم الرب" .

كلمة (الفتيان) كما تعنى الصغار والأحداث والأطفال ، تعنى

أيضاً المتضعين حسب تفسير القديس أوغسطينوس . فلكى لا يظن

بعض الكبار أن هذا المزمور لا يخصهم ، على اعتبار أنهم قد شاخوا ، نقول إنه ليس للكبار الذين كبروا في أعين أنفسهم . بل هو للذين هم صغار في أعين أنفسهم مهما كبروا . هو للمتضعين والحديثى الإيمان .

ويمكن أن يقوله الآباء والخدام لأبنائهم .

يقوله الآباء والأمهات لأبنائهم : سبحوا الرب أيها الفتيان . بل يكتبون هذه الآية ويعلقونها في بيوتهم ، كدرس دائم . ونفس العبارة يقولها الآباء الكهنة وخدام مدارس الأحد ، لكل من هم تحت مسئوليتهم . إنها مبدأ تربوى . نقوله لأنفسنا ولأولادنا . وإن تذرروا لسبب ما ، نقومهم بهذه الآية . ونضع أمامهم هذه الآية مهما أصابهم .
فعلينا أن نسبح الله ، مهما أصابتنا الضيقات .

ومثالنا فى ذلك أيوب الصديق ، الذى فى كل تجاربه وضيقاته وآلامه كان يقول "ليكن إسم الرب مباركاً" (أى ١ : ٢١) . لذلك ينبغى أن نسبح الرب ونشكره على كل حال ، ومن أجل كل حال ، وفى كل حال ، سواء كنا عند جبل التجلى ، أو كنا فى الجلجثة أو جثسمانى . نباركه فى الضيقة كما فى السعة . حينما تغمرنا بركاته ، وحينما تلاحقنا شماتة الأعداء ...

سهل أن نقول "باركى يانفسى الرب ، ولا تنسى كل إحساناته"

(مز ١٠٣ : ٢) . ولكن هل تستطيع أن تسبح إسم الرب، وأنت في بطن الحوت، تقول "طرحتنى فى العمق فى قلب البحار.. جازت فوقى جميع تياراتك ولججك" . وتقول معها أيضاً " أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك .. " (يون ٢ : ٣ ، ٩) .

تسبح إسم الرب فى الظلمة وفى النور . حينما يستجيب صلواتك، أو تظن أنه لم يستجب . تسبحه فى أوقات النجاح ، وفى أوقات الفشل، فى أوقات الإضطهاد وفى أوقات التعزية .
الذين يسبحون الله باستمرار ، يملك السلام قلوبهم . لا يتضايقون ولا يتذمرون .

ومن الناحية الأخرى ، الذين يملك السلام قلوبهم ، يسبحون الرب فى كل حين . حقاً ما أجمل قول المرتل فى المزمور "أبارك الرب فى كل وقت . وفى كل حين تسبحته فى فمى . بالرب تفتخر نفسى [مز ٣٣ (٣٤) : ١] .

✠ ✠ ✠
ليكن إسم الرب مباركاً ، من الآن وإلى الأبد .

إسم الرب العالى ، الذى ترتعد أمامه الملائكة ، الإسم الذى هو فوق كل إسم ، فليكن مباركاً فى كل حين، لا نذكره إلا بكل تمجيد، قائلين له "ليتقدس إسمك" . لا نتذمر عليه مهما حدث ، ولا ننسب إليه شراً أو ظلاماً ، ولا ندعى إنه قد نسينا أو قصر فى رعايتنا!

حاشا .. إنما كل ما يصيبنا من ضيقات له أسباب أخرى. والرب
سيتدخل فيها ويصلحها . لذلك فليكن إسم الرب مباركاً من الآن
وإلى الأبد، وأيضاً :

✠ ✠ ✠

"من مشارق الشمس إلى مغاربها ، باركوا إسم الرب" .

يمكن أن تعنى هذه العبارة من الصباح إلى المساء ، أى كل
الوقت. ويمكن أن تعنى من مشارق الشمس - جغرافياً - إلى
مغاربها، أى كل الدنيا . فهي دعوة لكل الشعوب أن تبارك إسم
الرب، أو هى صلاة نوجهها إلى الله أن يفتقد كل تلك الشعوب
البعيدة فى أقصى الشرق ، التى تعبد براهما وبوذا وكنفوشيوس ،
وعبادات أخرى كثيرة ، لكى تؤمن وتبارك إسم الرب، وهى تشمل
آلاف الملايين . فكأنها صلاة أن يمتد ملكوت الله ، ليشمل الأرض
كلها. لأنه "لرب الأرض وملؤها ، المسكونة وكل الساكنين فيها"
[مز ٢٣ (٢٤) : ١] .

فى كل هذا ، لا يطلب المصلى لأجل نفسه ، إنما لأجل الرب
وملكوته فى كل مكان .. عجيب هذا المزمور فى نسيان المصلى
لنفسه ، وتركيزه على الله وعلاقة الناس به . فهو يقول بعد ذلك :

✠ ✠ ✠

الرب عالٍ على كل الأمم . وفوق السموات مجده . من مثل

الرب إلهنا الساكن في الأعلى .
إن كان الرب ساكناً في الأعلى ، فعلى الأقل يسكن في قلوب
الناس .. حتى إن كانت الأمم تتكره ، فهذا لا يضيره ، ولا ينقص
من مجده ، لأنه عالٍ على كل الأمم . ولأن مجده فوق السموات ،
وفوق الملائكة . وهناك سماء أعلى من هذه السموات ، هي "سماء
السموات" إذ قيل للرب "هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك"
(امل ٨: ٢٧) .. حقاً ، من مثل الرب إلهنا الساكن في الأعلى .

إن كان علوك بهذا القدر ، فمن نحن حتى نقترّب إليك !؟
هل هذا يشعرنا بصغر نفس وإحباط ويأس ، إذ لا نقدر على
الإقتراب من الله "الساكن في نور لا يدنى منه. الذي لم يره أحد من
الناس، ولا يقدر أن يراه" (اتى ٦: ١٦) ، الذي فوق السموات
مجده" .. كلا، فإن المزمور يمنحنا الرجاء في الله بقوله عنه :

الساكن في الأعلى ، الناظر إلى المتواضعات : (٢٢ : ٦٢)

"الناظر إلى المتواضعات في السماء وعلى الأرض" المعطى
البهائم طعامها ، ولفراخ الغربان التي تدعوه" [مز ١٤٦ (١٤٧) :
٩] . الذي يقول عنه المزمور "الرب قريب لكل الذين يدعونه"
(مز ١٤٥ : ١٨) .

كثير من البشر إذا ارتفع قدرهم أو منصبهم ، يرتفع قلبهم ، ويتعالون على من هم أقل منهم، كما قال الشاعر :

لما صديقي صار من أهل الغنى أيقنت أنى قد فقدت صديقى
أما الله فليس هكذا : إنه الساكن فى الأعالى ، وفوق السموات مجده. وعلى الرغم من ذلك، هو الناظر إلى المتواضعات فى السماء وعلى الأرض. ولما لم نستطع أن نصعد إليه، نزل هو إلينا..

"الرب يقاوم المستكبرين ، أما المتواضعون فيعطيهم نعمة"
(يع ٤ : ٦) .

الملاك المتكبر الذى قال "أصعد إلى السموات . أرفع كرسي فوق كواكب الله .. أصير مثل العلى" (أش ١٤ : ١٣ ، ١٤) . هذا "انحدر إلى الهاوية ، إلى أسافل الجب" (أش ١٤ : ١٥) . أما الملائكة المتواضعون الذين يفعلون أمره عند سماع صوت كلامه" (مز ١٠٣) ، فهؤلاء أعطاهم نعمة ...

العذراء ، اختارها الرب من بين كل النساء، لأنه "نظر إلى إتضاع أمته" (لوا ١ : ٤٨) .

وهكذا قالت فى تسبحتها "انزل الأجزاء عن الكراسى، ورفع المتضعين" "شنت المستكبرين بفكر قلوبهم" (لوا ١ : ٥٢ ، ٥١) . إن أيوب الصديق ، حينما كان "باراً فى عينى نفسه" (أى ٣٢ : ١) .

ولكنه حينما تواضع، ورفض البر الذاتي، وقال "أرفض ، وأندم فى التراب والرماد" وحينما قال "تطقت بما لم أفهم، بعجائب فوقى لم أدركها" (أى ٤٢ : ٦ ، ٣) ، حينئذ انتهى وقت تجربته، ورد الرب سبى أيوب ، وزاد على كل ما كان له ضعفاً (أى ٤٢ : ١٠) .

هذا الإله الناظر إلى المتواضعات ، قيل عنه أيضاً إنه :



" المقيم المسكين من التراب ، والرافع البائس من المزبلة ، لكى يجلس مع رؤساء شعبه" .

هكذا فعل الله مع داود الذى كان مسكيناً بين يدي شاول الملك، وكان محتقراً من اخوته، الذى قال "صغيراً كنت فى بيت أبى، ومحتقراً كنت عند بنى أمى" ، هذا رفعه الله، وصيره ملكاً ، وصار أعلى من كل بيت شاول .

وكذلك يوسف الصديق ، الذى كان مسكيناً فى يدي أخوته فألقوه فى البئر وباعوه للإسماعيليين (تك ٢٧ : ٢٧ ، ٢٨) ، هذا رفعه الله "وجعله أباً لفرعون، وسيداً لكل بيته، ومتسلطاً على كل أرض مصر" (تك ٤٥ : ٨) .

كذلك يمكن أن يطلق هذا على كنيسة الأمم .

التي كانت من الغرباء ، بلا أنبياء بلا آباء ، بلا شريعة، بلا

عهود ، فصارت رعية مع القديسين ومن أهل بيت الله (أف ٢ :
١٢ ، ١٩) .

ويمكن أن تنطبق على كل إنسان منسحق القلب . وكذلك على
الإنسان التائب الذي يقبله الله ، ويسكنه الروح القدس . وينطبق
عليه قول المزمور :

✠ ✠ ✠

"الذي يجعل العاقر ساكنة في بيت ، أم أولاد فرحة !

من الناحية الحرفية ، تنطبق هذه الآية على كثير من العواقر :
أمثال سارة أم اسحق ، وراحيل أم يوسف الصديق ، وحنة أم
صموئيل ، واليصابات أم يوحنا المعمدان ، وعلى كثير من العواقر .
وتنطبق على كنيسة الأمم ، التي قيل عنها في سفر أشعيا النبي
"ترنمى أيتها العاقر التي لم تلد .. أوسعى مكان خيمتك ، ولتبسط
شقق مساكنك .. لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار . ويرث نسلك
أمماً ، ويعمر مدناً خربة (أش ٥٤ : ١ - ٣) .

وتنطبق الآية أيضاً على النفس الخاطئة التي كانت عاقراً من
جهة البر ، ثم بدأت تتجب من الروح القدس فضائل عديدة ،
وأصبحت ساكنة في بيت الله ، أم أولاد فرحة .

إنها تنطبق على الأرض التي "كانت خربة وخالية ، وعلى وجه

الغمر ظلماً . ثم قال الله ليكن نور ، فكان نور " . (تك ١ : ٢ ، ٣) .
 ثم عمرت الأرض بالإنسان والنبات والحيوان والطبيعة ، وصارت
 أم أولاد فرحة .
 وهذه الأرض هي رمز لكل نفس بشرية كانت في مثل حالتها ،
 واشفق عليها الله ، فصارت عامرة بكل ثمار الروح ، أم أولاد
 فرحة .



يَا اللَّهُ
أَنْتَ إِلَهِي
وَإِلَيْكَ أُنِيبُ

مزمور ٦٢ (٦٣)

يا الله أنت إلهي، إليك أكر

مز ٦٤ (٦٣)

يا الله أنت إلهي ، إليك أكر ، عطشت نفسي إليك .
لكي يزهر لك جسدى فى أرض مقفرة ، وموضع غير مسلوک ،
ومكان بلا ماء . هكذا ظهرت لك فى القدس ، لأرى قوتك ومجدك .
لأن رحمتك أفضل من الحياة .
شفتاى تسبحانك ، لذلك أباركك فى حياتى ،
وباسمك ارفع يدى ، فتشبع نفسي كما من شحم ودسم .
شفاه الإبتهاج تبارك إسمك . كنت أذكرك على فراشى .
وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك .
لأنك صرت لى عوناً ، وبظل جناحيك أبتهج .
التحقت نفسي وراءك ، ويمينك عضدتنى ،
أما الذين طلبوا نفسي للهلاك ، ويمينك عضدتنى
أما الذين طلبوا نفسي للهلاك ، فيدخلون فى أسافل الأرض ،
ويدفعون إلى يد السيف ، ويكونون أنصبه للثعالب .
أما الملك فيفرح بالله . ويفتخر كل من يحلف به .
لأن أفواه المتكلمين بالظلم تسد . هلويا .

مناسبة المزمور

قال داود هذا المزمور وهو في البرية ، حينما كان هارباً من شاول الملك الذي كان يطارده ويريد قتله .
في الواقع إن المزامير التي قالها داود وهو في الضيقة، كانت من أجمل مزاميره .

قالها بنفسية حساسة ، وقلبه متصل بالله . وقد رفعه الألم إلى مستوى عميق من المشاعر . وكما قال أمير الشعراء :

ومتعت بالألم العبقري وأنبغ ما في الحياة الألم

ليس الألم شيئاً رديئاً ، إن أحسن الإنسان استغلاله . فهو يعصر

النفس ويخرج منها روحيات جميلة . ونلاحظ أن داود النبي ، كان

- إذا أحاطت به المشاكل - لا يتذمر ولا يتضجر ، بل يرفع قلبه

إلى الله مصلياً . وحالما يتصل قلبه بالله في الصلاة ، ترتفع روحه .

فلا تضغطه المشاكل ولا الضيقات . كان يعالج الضيقة بالصلاة .

وكان في صلاته ينسى المشكلة ويتذكر الله .

وحينئذ كان يستريح من الداخل ، بل تتحول طلبته إلى شكر .

وإذ لا يجد معونة من الله ، يلجأ إلى الله ليأخذ منه العون .

هَدَفَهُ وَوَسَيْلَتَهُ

إنه من أجمل مزامير داود ، فى شرح العلاقة مع الله :

- ١ - يشرح اشتياقه إلى الله بقوله " عطشت نفسى إليك " يزهر لك جسدى " التحقت نفسى وراءك " .
- ٢ - يسبح الله بقوله " شفتاى تسبحانك . لذلك أباركك فى حياتى " .
- ٣ - يظهر شبعه بالله فى قوله " باسمك ارفع يدي ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم " .
- ٤ - يتحدث عن الشركة مع الله ، والعلاقة مع الله ، والحديث مع الله . فيقول " كنت أذكرك على فراشى . وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك " .
- ٥ - يتكلم عن اعتماده على الله ، فيقول " لأنك صرت لى عوناً ، وبظل جناحيك أبتهج " .
- ٦ - يتكلم عن انتصاره عن طريق معونة الله ، فيقول : " إما الذين يطلبون نفسى فيدخلون إلى أسافل الأرض ، ويدفعون إلى يد السيف . هذا هو ملخص علاقته بالله : يشبع به .

الشركة معه . الإعتقاد عليه . الإنتصار بواسطته .

٧ - أما الطريقة التي سلك بها داود ، فهي أنه حاول أن يمسك

بالله بكل الطرق :

أولاً : بالإيمان ، إذ يقول " يا الله أنت إلهي " .

ثانياً : بالحب ، إذ يقول " عطشت نفسي إليك .. " .

ثالثاً : بالرجاء ، إذ يقول "أما الملك فيفرح بالله" وقوله "لأن

رحمتك أفضل من الحياة" .

رابعاً : بالصلاة ، إذ يقول "كنت أذكرك على فراشي ، وفي

أوقات الأسحار كنت أرتل لك" "باسمك ارفع يدي ، فتشبع نفسي..".

بعد هذه المقدمة ، فلنتناول المزمور آية آية .

يَا اللّٰهَ أَنْتَ إِلٰهِي

بهذا يظهر إيمانه بالله ، ويذكر أن الله هو إلهه الخاص .

يكلمه لا كإله لكل الناس ، ولكل الشعوب والأمم ، وإنما

باعتباره إلهه الخاص .

" أنت إلهي " . بيني وبينك علاقة خاصة .. كمن يقول للسيد

المسيح "أنت مخلصي" ، مع أنه مخلص العالم كله ...

والله نفسه كان يستخدم هذا الأسلوب أحياناً ، فيقول "أنا إله

ابراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب" (خر ٣: ٦) . وهكذا أيضاً صلى يعقوب وقال " يا إله أبى ابراهيم ، وإله أبى اسحق.. " (تك ٣٢: ٩) .
إن الله يوافق أيضاً على هذه العلاقة الخاصة .

يحدثنا التاريخ أحياناً: إنه حينما كانت تحدث معجزة أثناء تعذيب مارجرس، كان كثيرون يؤمنون ويصيحون قائلين "تؤمن بإله مارجرس" أو "عظيم هو إله مارجرس" .. مع أنه إله العالم كله.
ومن أمثلة ذلك ، بعد معجزة نجاة الثلاثة فتية من أتون النار، أن نبوخذ نصر الملك قال "تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو .." (د ٣: ٣١).
(٢٨) . وكذلك فعل داريوس الملك بعد نجاة دانيال من جب الأسود، الذى كتب إلى كل شعوب مملكته قائلاً "منى صدر أمر بأنه فى كل سلطان مملكتى، يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال، لأنه الإله الحى القيوم إلى الأبد .." (د ٦: ٢٦) .

كثيرون يعبدون الله، ولكنهم لا يشعرون إنه هو إلههم بالذات.
يصلى الواحد منهم إلى الله ، دون أن يشعر أنه هو إله الخاص . ولا يقول له "يا الله أنت إلهى" ، أنت الذى خلقتنى من العدم ، أنت الذى ترعانى . حقاً إنك ضابط الكل ، لكنك بالنسبة إلى لك رعاية خاصة بى أعرفها جيداً ...

وما أكثر أمثال هذه التأملات فى القديس الغريغورى ، التى

يصلى فيها الكاهن بأسلوب المفرد "انت الذى خلقتنى إذ لم أكن ..
رفعت لى السماء سقفاً ، وثبتت لى الأرض كى أمشى عليها. من
أجلى ألجمت البحر . من أجلى أخضعت طبيعة الحيوان .. " .

إليك أبكر

إيمانك بالله كإله خاص بك ، لابد أن يكون له تأثير عملى فى
حياتك . فالإيمان الإسمى أو الشكلى أو الظاهرى ، لا ينفعك بشئ .
مادام هو إلهك ، ينبغى أن تبكر إليه ، لتتحدث معه .

ويكون أول من تتشئ معه علاقة فى يومك . فالمحبة التى لا
يثبتها العمل هى محبة باطلة أو محبة ناقصة . لذلك فأنت فى
محبتك لله، تظهر محبتك بتبكيرك للتواجد معه . فأول ساعة من
يومك تخصصها له . وهكذا تعطيه بكور وقتك . وعلى الأقل يكون
الله هو أول من تتحدث معه فى يومك .

ويتقدس يومك إذ يبدأ بالله .

إذ تعطيه الوقت البكر ، الذى لم يرتبط بأى فكر خاطئ ، ولا
بأى شعور سئ ، ولا بأية علاقة مع إنسان، أو إهتمام بشئ ما. وإذا
تذكر الله فى بدء يومك ، إنما يتقدس فكرك بالصلاة ، ويستحى من
أنه ينشغل بشئ خاطئ . وكما كان الله يأخذ البكور من المحاصيل

فى العهد القديم ، هو الآن يأخذ بكور وقتك بالصلاة والتأمل وقراءة الكتاب والأفكار الروحية .

عبارة "إليك أبكر" تدل على اشتياقك إلى الله .

فأنت لا تريد أن يطول نومك ، ويشغلك عن الحديث مع الله ،

وإنما تسرع إلى الاستيقاظ لكي تتمتع بالوجود مع الله، لكي تحيا

معه ومع وصاياه ، لأن نفسك قد عطشت إليه .

فى هذا التبكير المشتاق إلى الله، تقول مع داود :

"سبقت عيناي وقت السحر، لأتلو فى جميع أقوالك .

أى سبقت عيناك وقت الفجر ، لتتلو فى أقوال الله .

وهكذا تعلمنا الكنيسة فى بدء صلاة باكر ، أن نصلى الإصحاح

الأول من الإنجيل للقديس يوحنا البشير "فى البدء كان الكلمة" . وفى

تأمل - فى غير معناها اللاهوتى - تجعل الله الكلمة فى بدء يومك ..

وحسناً أسمتها الكنيسة صلاة باكر ، حاملة معنى التبكير .

ولم تطلق عليها إسم صلاة الصباح . لأن فيها يقول المصلى "يا

الله أنت إلهي إليك أبكر" . ويقول أيضاً "سبقت عيناي وقت السحر ،

لأتلو فى جميع أقوالك .

أنا يارب أبدأ يومى معك ، وأخذك معى طول النهار . تكون

معى فى البيت ، وفى الطريق وفى مكان عملى ، وفى كل ما أعمله .

اضعك فى فكرى ، وعلى لسانى ، وداخل قلبى .
وأخذ منك نعمة وروحاً ومعونة . وأعطيك قلبى ومشاعرى .
كثيرون يبكرون لأجل أمور كثيرة . لأجل ميعاد العمل ، لأجل
ميعاد السفر ، لأجل إعداد أنفسهم لإمتحان أو لدراسة أو لمقابلة
هامة ... فلماذا لا يبكر الإنسان للقاء مع الله ؟
وفى التبكير لله ، تقول له : ليس لأى مصلحة خاصة ، وإنما :

عَطِشْتَ نَفْسِي إِلَيْكَ

إنه اشتياق النفس إلى الله ، كما تشتاق الأرض العطشانة إلى
الماء . أو كما يقول فى مزمور آخر "كما يشتاق الأيل إلى جداول
المياه، هكذا تشتاق نفسى إليك يا الله. عطشت نفسى إلى الإله
الحى. متى أجيء وأترأى قدام الله؟" (مز ٤٢ : ١ ، ٢) .
هذا العطش الذى عبر به داود عن مشاعره ، لعله تعبير عما
قاله المسيح فى عظته على الجبل " طوبى للجياع والعطاش إلى
البر ، لأنهم يشبعون" (مت ٥ : ٦) . ولا يوجد برّ أعظم من الوجود
مع الله والتمتع به .

العطش إلى الله يدل على أن صلواته ليست مجرد طاعة لأمر ،
أو تغصب لتنع فضيلة .

إنما هي مشاعر اشتياق إلى الله . إنه عطشان إلى ذلك الماء الحى، الذى قال عنه الله فى توبيخه لليهود "تركونى أنا ينبوع المياه الحية، لينقروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشققة لا تضبط ماء " (أر ٢: ١٣) . وهو الماء الحى الذى تحدث عنه الرب مع المرأة السامرية: وأنه "ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو ٤: ١٤) .

داود النبى عرف - وهو فى العهد القديم - الأرتواء من الماء الحى .. وكأنه يقول لله فى صلواته :

أنا لا أريد أن أرتوى بماء من عندك ، إنما أريد أن أرتوى بك أنت. أنت مائى ، وفيك رى نفسى . أنا أرتوى بك . أنا مشتاق إليك. أتغذى بك وأحيا بك . أنا معك مثل الشجرة المغروسة على مجارى الماء . والماء الذى ترتوى به هو أنت يارب . من غيرك لا أستطيع أن أعيش يوماً واحداً . فأنت ماء الحياة بالنسبة إلى . إن بعدت عنك، تجف نفسى وأموت . أكون كمن قلت عنه إن له إسماً إنه حى وهو ميت (رؤ ٣: ١) .

أنا متعجب من هذا الرجل داود !...

طول النهار مع الله ، يقول له "سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك" (مز ١١٩) . هو معه عشية وباكراً ووقت الظهر . وكل ذلك غير كافٍ له . فحينما يذهب لينام ، يقول "كنت

أذكرك على فراشى" . وهو لا يستمر على فراشه ، وإنما يقول "فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك" (مز ١١٩) . وبعد نصف الليل يقول "سبقت عيناي وقت السحر ، لأتلو فى جميع أقوالك" . وبالرغم من هذا الليل المتقطع بالصلاة يقول لله " يا الله أنت إلهى ، إليك أبكر . عطشت نفسى إليك " .

حقاً أنا طول الليل فى حضنك الإلهى . شمالك تحت رأسى ، ويمينك تعانقنى (نش ٢ : ٦) . ومع ذلك لا بد أن أصحو مبكراً ، لأن نفسى قد عطشت إليك . وهو وقد جرب محبة الله والحياة معه ، يدعو الناس إلى مشاركته فى ذلك ، فيقول لهم :

"نوقوا وأنظروا ما أطيب الرب " (مز ٣٤ : ٨) .

وإن ذقتم محبة الله ، سوف تحبونه ، وتشتعل نار محبته فى قلوبكم . ومن شدة هذه الحرارة تشعرون بالعطش ، وبال حاجة إلى الماء ليرويكم . وهذا الماء هو الله نفسه ...

إننا لا نصلى مثل داود ، لأننا لا نحب الله مثلما كان داود يحبه . حقاً إننا نعيش فى نعم العهد الجديد ، ولكن ليست لنا محبة داود لله وقد كان يعيش فى العهد القديم . إننا لم نصل إلى مستوى قلب داود ، الذى كان قيثاراً للروح القدس .

كان يحسن العزف على العود (اصم ١٦ : ١٦) . وهو نفسه

كان العود الذي يعزف عليه الروح القدس أحياناً في محبة الله .
لقد كان يعيش في العهد القديم بروح العهد الجديد . كان صلواته
إلى الله متعة روحية له ، ورائحة سرور للرب كدخان المحرقة
(لا : ٩) . كان صلواته شوقاً إلى الله ، وحباً ، وعطشاً إلى الله ..
كل عبارة "أنا عطشان" التي قالها السيد المسيح على الصليب ،
كانت -بالإضافة إلى معناها الجسدي الحرفي- تمثل معنى الإشتياق
إلى الإرتواء بعبارة "قد أكمل" التي بها ارتوى "ابن الإنسان" بتكميل
رسالته في الفداء وطاعته للأب حتى الموت ..؟!
طبعاً كان السيد المسيح في حالة إرتواء دائم مع الأب . ولكننا
نتكلم هنا عن الحب في عمل مشيئته، ونقل محبته إلى الناس (يو ٣ :
١٦) . يقول داود عن سبب عطشه إلى الله "لكي يزهر لك جسدي
في أرض مقفرة، وموضع غير مسلوک ، ومكان بلا ماء " .

يُزهر لك جسدي

"لكي يزهر لك جسدي" . لأن الجسد ليس شراً ، كما يرى
البعض الذين يرون الخير كله في الروح . فالرسول يقول "مجدوا
الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١كو ٦ : ٢٠) .
إن الجسد ليس شراً ، فالله قد خلقه . والله لا يخلق شراً . والجسد

ليس شراً، وإلا ما كان السيد المسيح قد اتخذ له جسداً واتحد به .

الجسد إنن يمكن أن يزهر للرب ، حينما يسير مع الروح فى إتجاه واحد، ويخضع للروح التى تخضع لله .

يمكن أن يشترك الجسد مع الروح فى عبادة الله . يقف فى وقار أمام الله فى الصلاة ، ويرفع يديه فى الصلاة، حسبما يقول داود فى نفس هذا المزمور "باسمك ارفع يدي، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم" (مز ٦٣ : ٤ ، ٥) . أو يركع الجسد فى صلاته ويسجد، ويقول مع داود "لصقت بالتراب نفسى" (مز ١١٩) ، أو يتعب الجسد من عمل الخير .

"يزهر لك جسدى" ، أى يبدأ فى الثمر .

الذين يعملون فى الزراعة ، يعرفون أن الثمرة تبدأ حينما تزهر الشجرة ، ثم يعقد الزهر ، فيكون بداءة الثمرة . والشجرة الجيدة هى التى تصنع ثمرأ .

كذلك فالزهر له رائحة زكية ، ومنه يصنع النحل شهداً .

هكذا إذن عبارة يزهر جسدى ، تعنى الثمر الذى لله ، كما تعنى الرائحة الزكية ، التى يتنسّم منها الله رائحة الرضا (تك ٨ : ٢١) .

يزهر لك جسدى ، وليس لغيرك .

لأن هناك أشخاصاً جسدهم يزهر للعالم . يهتم الواحد منهم

بجمال جسده وأناقته ورشاقته ورائحته الطيبة ، كل ذلك للعالم ، وربما للخطية . ينظر إليه العالم فيجده جسداً جميلاً ، كالقبور المبيضة من الخارج ، وفي الداخل عظام ننتة " (مت ٢٣ : ٢٧) .
أما داود فقال للرب "يزهر لك جسدي" . من أجلك ومن أجل ملكوتك ، يتعب لك جسدي بالسهر والصوم ، بالعرق والدموع ، بالصلاة والمطانيات ، بالتعب في الخدمة ، بتحمل الآلام من أجلك . وهكذا يكون جسداً يزهر في العمل الروحي ، ثم يثمر أيضاً .
بعض القديسين كانت أجسادهم مجرد جلد على عظم ، من شدة النسك والزهد والصوم . ولكنها كانت مزهرة لله تقدم له ثمار الفضيلة ، في أرض مقفرة ، وموضع غير مسلوك ، ومكان بلا ماء .

في أرض مقفرة

كان داود في ذلك الوقت في أرض مقفرة ومكان بلا ماء ، هارباً من شاول الملك ، ومع ذلك كان مزهراً للرب . كان كل ما يحيط به هو الخوف والضيقة والتعب والمطاردة . وكان شاول يتربص له في البرية ، ويضع له كميناً لكي يقتله . وكان داود يعرف ذلك تماماً ، كما قال ليوناثان بن شاول "إنه كخطوة بيني وبين الموت" (١ صم ٢٠ : ٣) ...

ومع ذلك ، وهو في تلك البرية القفرة والموضع غير المسلوک
والمكان الذي بلا ماء، لم يفكر في ضيقاته ومتاعبه، ولم يفكر في
الموت الذي يتهدده، ولا في شاول الذي يطارده، وإنما غنى لله قائلاً
"يا الله أنت إلهي إليك أ بكر.. يزهر لك جسدي في أرض قفرة.

في ضيقاته لم يكن يتذمر ، إنما كان يتذمر بالمزامير .

وعلى الرغم من متاعبه وضيقاته ، كانت نفسه مرتفعة عالية،
وكان فكره مرتبطاً بالله . وكان يسبح الله قائلاً "سفتاي تسبحانك،
لذلك أباركك في حياتي" .

في هذا المكان الذي بلا ماء، لم يكن داود يشترق إلى الماء،
وإنما إلى الله. كانت حرارة الروح عنده تجعله ينسى جسده، أو لا
يشعر به . أو من الناحية الروحية والرمزية ، يمكن أن نأخذ هذه
الكلمات بمعنى آخر فنقول :

يزهر لك جسدي في أرض مقفرة، أي في حياة التجرد. وفي موضع
غير مسلوک أي في الوحدة معك. نقول هذا في تأملنا الروحي .
بدء دعوة ابراهيم أن أخرجه الله من أهله ومن عشيرته ومن
بيت أبيه ، إلى الجبل الذي أراه إياه (خر ١٢ : ١ ، ٢) إلى موضع
غير مسلوک من جهة تلك البيئة . كذلك كلم الله موسى وحده على
الجبل ، في موضع غير مسلوک وفي أرض مقفرة ومكان بلا ماء .

كذلك في موضع قفر غير مسلوک کلم الرب ايليا النبي ، وهو هارب من ايزابل (امل ١٩) .

وفي المزمور الأول يريدنا الله أن نعيش معه في موضع غير مسلوک من الخطاة والمنافقين ومجالس المستهزئين .

إن عمق العلاقة بالله يناسبها الخلوة، أي الموضع غير المسلوک .

بعيداً عن ضجيج المجتمع ومشاكله .. وهذا ما نريد أن ندرب

أنفسنا عليه، حسبما نستطيع . أما أباؤنا القديسون فعاشوا في ذلك طول حياتهم .

وعبارة "مكان بلا ماء" ترمز إلى حياة النسك والزهد، بعكس

الغنى الذي عاصر لعازر المسكين، بالرفاهية فاستوفى خيراته على الأرض (لوقا ١٦) .

عبارة موضع غير مسلوک ، قد ترمز أيضاً إلى القلب النقي

والعقل النقي .

الذي لم تسلك فيه أفكار العدو ، وشهوات العالم . لم تعبر فيه

فكرة خاطئة ولا شهوة شريرة . أما الذين يتجاذبون مع الأفكار

والشهوات ، فيقول عنهم مار اسحق :

" يكونون كمن هم في سوق ، يبيعون ويشترون .

أما صاحب القلب النقي ، فيقول للرب : أنا أسبحك من قلب هو

موضع غير مسلوك لا يقبل أية فكرة أو شهوة تعرض عليه .

هي ذى العين لقد أغمضتها
وكذا الأذن لقد أخليتها

وعن هذا المعنى قيل فى النشيد بأسلوب رمزى " اختى العروس

جنة مغلقة، عين مغلقة، ينبوع مختوم" (نش ٤ : ١٢) .

عبارة موضع غير مسلوك، قد تعنى أيضاً إنه مخصص للرب .

ولأضرب لذلك مثلاً فاقول : إذا اشترى أحد أرضاً ، وتركها بدون أسوار ، قد تدوسها أقدام كثيرة ، ويسلك فيها كثيرون . أما إذا أحاطها بسور ، وجعل لها باباً وأغلقه ، تصير هذه الأرض مصانة ، وتصبح موضعاً غير مسلوك ، ويحترم الناس ملكيته لها . هكذا يكون قلبك إن كان ملكاً ، لا يصبح أرضاً مداسة من الغير ، ولا يدوسها ذلك الذى هو ابته الجولان فى الأرض والتمشى فيها" (أع ١ : ٧) .

هكذا ظهرت لك فى القدس لأرى قوتك ومجدك . لأن رحمتك

أفضل من الحياة .

من عطشى إليك ، ذهبت إلى أقداسك ، وظهرت لك . لأن هناك

أرى قوتك ومجدك . وأشعر إننى فى حمى إله قوى ممجد .. وفى

حمى رحمته ...

الإعتماد على رحمته أفضل من الإعتماد على هذه الحياة التي

أحيانا .

من أجل هذا تتعلق نفسى بك وأسبحك .

شفتاى تسبحاتك . لذلك أباركك فى حياتى .

باسمك أرفع يدي فتشبع نفسى ..

✦ أرفع يدي فى الصلاة ، مثال الصليب .. والصليب يخيف

الشياطين . كما أن الأيدي المرفوعة بعيدة عن الأرض والماديات.

✦ ورفع اليدين طقس من طقوس الصلاة :

يقول المرتل فى المزمور "فى الليالى أرفعوا أيديكم أيها

القديسون وباركوا الرب (مز ١٤٣) . ويقول القديس بولس الرسول

"أريد أن الرجال يصلون رافعين أيدي طاهرة " (أف ٢ : ٨) .

✦ وأثناء الحرب مع عماليق ، كان موسى النبى يرفع يديه فى

الصلاة ، فينتصر جيش يشوع . ولما ثقلت يداه، قام هارون وحوار

بدعم يديه لكى يستمر الإنتصار (خر ١٧ : ١١ - ١٣) .

✦ ورفع اليدين وهما مفتوحتان، هو اعتراف بالإحتياج، لكى

يملاها الله من خيراته . كما أن ذلك دليل على الإلتضاع .

✦ ✦ ✦

هناك أشخاص يصلون فى ملل ، أما داود فيقول

بإسْمِكَ أَرْفَعُ يَدِي ، فَتَشْبِعْ نَفْسِي كَمَا مِنْ شَحْمٍ وَدَسْمٍ .

إنه شبع رُوحِي ، شبع بِالرَّبِّ ، يشعر به داود حالما يرفع يديه في الصلاة . وهذا دليل على أنه يصلِي من عمق قلبه وبكل مشاعره ، وليس بمجرد ألفاظ تخرج من فمه .

يشبه شبعه ليس بمن يشبع من خبز ، بل من شحم ودسم . وكان ذلك من أفضل المأكولات التي تشبع . وكان شحم الذبائح في العهد القديم يقدم على مذبح المحرقة (لا : ٤ : ٨ - ١٠) إشارة إلى أنه مقدم لله لنيل رضاه كرائحة سرور للرب (لا : ١ : ٩ ، ١٣ ، ١٧) . وهو يشير إلى الوليمة السمائية .

شَفَتَايَ تَسْبِحَانِكَ لِذَلِكَ أَبَارِكُكَ فِي حَيَاتِي

لو أن داود سبّح الرب في انتصاره ، لكان ذلك أمراً عادياً.. أما أن يسبّحه في الضيقة ، في الأرض القفرة ، وفي موضع غير مسلوك ، وهو هارب من شاول ، والموت يطارده ... فهذا يدل على أن داود كان هدفه هو الله وحده . ولم يكن هدفه هو راحته الشخصية ، أو التخلص من التجارب ...

لقد سبّح الله ، لأنه لم يركز مشاعره في الضيقة ، وإنما في قوة

الله ومجده. إذ يقول له :

هكذا ظهرت لك في القدس، لأرى قوتك ومجداك .

حسن هذا ، أنه في ضيقته ، يظهر أمام الله ، ليرى قوته التي

فيها يتمجد الله أيضاً . وبعد ذلك يقول له "شفتاي تسبحانك..".

عملى هو أن أسبحك ...

لأنك وهبتي هذه النعمة ، أن أسبحك ...

وهبتي هذا القلب الشاكر لك، الذى يشكر على كل حال، ومن

أجل كل حال، وفى كل حال.. أشكرك عندما أنتصر على جليات،

وأشكرك وأنا هارب من شاول، وخائف منه، ومطروود ومطارد ومرذول

أسبحك فى الحالتين كلتيهما، لأن تسبحتك هى عملى فى الحياة ...

لذلك أباركك فى حياتى .

أباركك طول أيام حياتى .. أى أسبحك طول الحياة ..

فى مزمور آخر يقول "ها باركوا الرب ، يا عبيد الرب ،

القائمين فى بيت الرب ، فى ديار إلهنا" (مز ١٣٣) . ويقول فى

(مز ٨٤ : ٤) " طوبى لكل السكان فى بيتك ، يباركونك إلى الأبد" ..

أما هنا، فإنه يبارك الرب فى موضع غير مسلووك ، بل يباركه

طول حياته ...

ليتنا نفعل مثله ، ونسبح الرب كل حياتنا ، سواء كنا قائمين فى

بيت الرب فى ديار إلهنا، أو كنا فى متاهه، فى مكان بلا ماء،
وموضع غير مسلوك .

أذكرك على فراشى

يتابع داود تسبيحه للرب فيقول :
كنت أذكرك على فراشى ، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك :
كما أذكرك فى النهار ، كذلك أذكرك فى الليل، على فراشى ،
أى فى كل وقت . إنه بهذا يعطينا فكرة عن الصلاة الدائمة ، وعن
الصلاة قبل النوم . بحيث أن آخر فكرة تأتينا قبل النوم، تكون فى
ذكر الله أيضاً .. كما أقول : يا الله أنت إلهى ، إليك أبكر .. أقول
أيضاً " كنت أذكرك على فراشى .
أى أنك يارب فى بدء يومى ، وفى نهايته .

أنت الأول والآخر ، البداية والنهاية (رؤ ٢٢ : ١٣) . بك أبدأ
يومى ، وبك أختمه .. هكذا ، يا ليت كلاً منا، حينما يصعد على
فراشه يفكر الله . وحينما يرقد على فراشه فى مرض أو ألم،
يكون فكره فى الله أيضاً . فبهذا يحصل على عزاء .
وحينما تذكر الله على فراشك ، يتقدس فراشك .

إن الذين يصلون صلاة طويلة قبل النوم ، إنما يقصدون فراشهم،
وكذلك يقصدون أفكارهم قبل النوم . وبهذا تكون أحلامهم مقدسة .

لأن الذى انغرس فى عقلهم الباطن قبل نومهم ، كان هو الله نفسه وما يتعلق به .

أذكرك على فراشى ، تعني أيضاً فى وقت راحتى .

فوقت راحتى لا يُعطى للجسد فقط ، بل للروح أيضاً ، إذ تجد

راحتها فيك . حينما أتأمل فيك يا رب ، وحينما أذكرك على فراشى ،

أجد فيك راحتى . أجد راحة لقلبي ، وراحة لفكرى ، وراحة

لروحي... ليس فقط فى الليل قبل النوم ، وإنما أيضاً :

فى أوقات الأسحار كنت أرتل لك .

أى وقت الفجر .. يقوم ليرتل للرب .

إنه يقدم لنا مثلاً ، كيف تتحول الحياة كلها إلى صلاة .. فعلى

فراشه فى الليل يذكر الله . وفى نصف الليل ينهض ليشكره على

أحكام عدله . وتسبق عيناه وقت السحر ليتلو فى جميع أقواله

(مز ١١٩) . وأيضاً فى أوقات الأسحار يرتل له . ومع كل ذلك

يقول له "يا الله أنت إلهى ، إليك أبكر ، عطشت نفسى إليك" ...

هكذا كان الآباء يقطعون الليل بالصلاة ...

فلا يمر الليل بطوله ، وهو فى غفوة أو نعاس بعيداً عن مناجاة

الله .. ولهذا نرى أن كنيستنا تقسم صلاة نصف الليل إلى ثلاث

هجعات . أى ينام جزءاً من الليل ، ثم يصحو ليصلى ، ثم ينام

ويصحو ليصلى، وهكذا . وليس هذا النظام للرهبان وحدهم، وإنما للعلمانيين أيضاً . وداود لم يكن راهباً ، بل كان متزوجاً وله أسرة كبيرة . وصلوات النهار أيضاً بالمثل . رتبها الكنيسة بحيث لا تمر ثلاث ساعات على الإنسان، إلا ويرفع قلبه بالصلاة . من صلوات باكر إلى الثالثة ، فالسادسة، فالتاسعة، فالغروب .. وهكذا كان داود الذى قال للرب "سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك" (مز ١١٩ : ١٦٤). كل ذلك من محبته لله، إذ يقول له "عطشت نفسى إليك" . وأيضاً عرفاناً بجميل الله ، الذى كان دائماً يعينه ويحميه . فإذ يسبح الله ، يقول له :

لأنك صرت لى عوناً ، وبطل جناحيك أبتهج

عجيب داود هذا ، فى مشاعره نحو الله. يتغنى بعون الله له، ويبتهج بظل جناحيه، بينما هو مطارده من شاول، ومهدد بالموت، فى برية قفرة! لو كان واحد منا فى مثل ظروفه لاعتبر حالته تخلياً من الله عنه وليس عوناً له.. أما داود النبى، فهو عينة مرتفعة وسامية. إنه يذكر إحسانات الله ، حتى فى وسط متاعبه . وكأنه يقول : أنا يارب - مهما يحدث لى - لست أنسى عونك لى، كيف اخترتتى من بين اخوتى ، وأنا أصغرهم ، ومسحتتى ملكاً

بيد نبيك صموئيل ، ورضيت أن روحك القدوس يحل على
 (اصم ١٦) .. وكنت لى عوناً ، حينما هجم أسد ودب على شاه
 من غنمى ، وأعطيتى القوة لى أنتصر عليهما وأنقذ الشاه منهما .
 وكنت لى عوناً فى وقوفى ضد جليات الجبار ، ومنحتنى انتصاراً
 مذهلاً عليه (اصم ١٧) . وكنت لى عوناً ، حينما حققت لى نصراً
 على مائتين من الأعداء دفعت به مهر ميكال (اصم ٢٧) .
 لذلك أنا بظل جناحك أبتهج ، ليس فقط من جهة الماضى ، بل
 ابتهج فى ضيقتى الحالية .
 حتى فى ضيقتى لم تتركنى . شاول يطار دنى ، وأنا هارب منه .
 وأنت صرت لى عوناً ، فمكنتنى من الهرب . ولو تخليت عنى يوماً
 واحداً ، لاستطاع شاول بكل قوته وجنوده أن يقتلنى .. لذلك أنا بظل
 جناحك أبتهج .
 وهذا التشبيه يذكرنا بالدجاجة التى تظل على فراخها بجناحيها .
 كما قال السيد المسيح لأورشليم "كم مرة أردت أن أجمع بنيك ، كما
 تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا" (مت ٢٣ : ٢٧) ..
 وهكذا الدجاجة تحمى أبناءها بجناحيها . وإذا هجم على فراخها أى
 عدو ، فإن هذه الفراخ تزداد التصاقاً بجناحى الأم ، وبظل جناحيها
 تبتهج .

ما أكثر استخدام داود النبي لتعبير (تحت جناحك) أو (ظل جناحك) .

ففي (مزمور ٥٧ : ١) يقول "ارحمنى يا الله ارحمنى . فإنه عليك توكلت نفسى . وبظل جناحك اعتصم ، إلى أن يعبر الإثم" .
وفي مزمور "الساكن فى ستر العلى" يقول : "فى وسط منكبيه يظلك . وتحت جناحك تعتصم" وفى ترجمة أخرى "وتحت أجنحته تحتى" (مز ٩٧ : ٤) .

يقول أيضاً "ما أكرم رحمتك يا الله . فبنو البشر فى ظل جناحك يحتمون" (مز ٣٦ : ٧) . وفى مزمور آخر "احفظنى مثل حدقة العين . بظل جناحك أسترنى" (مز ١٧ : ٨) .

إنه تشبيه يستريح له الإبن ، الذى يجد حمايته تحت جناحى الأبوة أو الأمومة . فليكن الله أباك . أما أمك فهى الكنيسة .
غير أننا نورد هنا ملاحظة هامة وهى :

صغار الفراخ هى التى تحتى تحت جناحى أمها ..
فلا تظن نفسك أنك قد كبرت ، وتخرج من تحت الأجنحة التى تحميك . وإنما عليك أن ترجع وتصير مثل الأطفال ، وتقول للرب :
تحت جناحك اعتصم ، إلى أن يعبر الإثم .

ليس فقط تحتى تحت جناحى الله ، وإنما تسبحه فى شكر قائلاً

"بطل جناحيك ابتهج" ...

يتابع داود تسبحة في ضيقاته فيقول :

التحقت نفسي وراءك ، ويمينك عضدتني .

التحقت نفسي وراءك ، أي جرت وراءك . تبعتك حيث سرت ..

إنني لا أتبع مشيئتي الخاصة ، ولا ما أدعيه لنفسي من حكمة . إنما

أنا أسعى وراءك ، واتبع مشيئتك وحكمتك الإلهية .

أما عن أعدائي ، فإنك ستتكفل بهم وتريحني منهم ، وهكذا يقول

عنهم داود النبي :

أما الذين طلبوا نفسي للهلاك ...

مادامت يمينك عضدتني ، فإن الذين طلبوا نفسي ليهلكوها فإنهم

"يدخلون في أسافل الأرض ، ويُدفعون إلى يد السيف ، ويكونون

انصبه للثعالب " ...

بالإيمان ، هؤلاء لن يقدرُوا على ، لأنني في يمين الله . وشعرة

واحدة من رأسي ، لن تسقط بدون إذنه . (لوا ٢١ : ١٨) ، لأنه قد

نقشني على كفه" (أش ٤٩ : ١٦) . لذلك فهؤلاء الذين طلبوا نفسي ،

سيدخلون إلى أسافل الأرض ، إلى الجحيم ، مثل قورح ودathan

وابيرام الذين فتحت الأرض فاهما وابتلعتهن (عد ١٦ : ٣١ ، ٣٢) .

لم يقل داود هذا حقاً عليهم ، إنما باعتباره نبياً قد تنبأ عن

آخرة هؤلاء الأعداء .. (١٠٠) "ولما استقرت عليه يا موسى يا داود يا سليمان"

قال هذا عن طريق الوحي . كما قال الرب عنه إنه قال بالروح " (مت ٢٢: ٤٣) .. وفعلاً قد هلك كل أعداء داود . ومات في الحرب الملك شاول الذي كان يضطهده .. (١ صم ٣١) وعلى الرغم من ذلك بكاه داود ومزق ثيابه عليه، وصام هو والذين معه حتى المساء (٢ صم ١: ١١، ١٢) ورثاه بمرثية مؤثرة (٢ صم ١: ١٩-٢٧) .

ولكن في صلاتك أنت، ليكن لك معنى آخر . فعندما تقول "أما الذين يطلبون نفسى للهلاك"، ضع في ذهنك أنهم الشياطين ، ولا تفكر في أحد من البشر، لئلا تطلب الشر لغيرك . والشياطين فعلاً يدخلون في أسافل الأرض، ويدفعون إلى يد السيف، بمعنى الهلاك الأبدى لهم . يتابع داود النبي مزموره فيقول : (٧: ٧) "يا رب لا تنسى"

**أما الملك فيفرح بالله
ويفتخر كل من يحلف به**

هنا لا ينسى داود أنه قد مُسح ملكاً (١ صم ١٦) . وفي الرجاء بتحقيق وعد الله، يرى أنه سيفرح بالرب . ولاشك أن الرجاء يجلب

الفرح، كما قال الرسول "فرحين في الرجاء" (رو ١٢: ١٢).
ولم يقل هنا أنه يفرح بهلاك أعدائه، إنما يفرح بالله.
وبالنسبة لنا نعتبر أنفسنا شركاء في ملكوت الله، وكل من يملك
نفسه، هو ملك يفرح بالله، بالمعنى الروحي. وهكذا كل بنى
الملكوت، الذين يفتخرون بأنهم مؤمنون بالله "يحلف بإسمه". وكان
القسم بالله في العهد القديم يميز المؤمنين بالله عن عابدى الآلهة
الأخرى.

لأن أفواه المتكلمين بالظلم تسد.
هؤلاء الذين ظلموا داود، وتكلموا ضده ظلماً، قد سدّ الله
أفواههم. سواء شاول الملك، أو شمعى بن جيرا (٢ صم ١٦: ٥-٥).
٨. فإن فتح أحد فاه ضدك بكلمات ظالمة، لا تحزن. لأن "الرب
يحكم للمظلومين" (مز ١٤٦: ٧). وأيضاً لأن "أفواه المتكلمين
بالظلم تسدّ. سوف لا يحوجك الله إلى أن تنتقم لنفسك، بل هو الذى
سيسد أفواههم. أما الملك فيفرح بالله.



إلى متى
يا رب
تنتسأني

إلى متى يارب تنساني ...

[مز ١٤ (١٣)]

إلى متى يارب تنساني ، إلى الإنقضاء ؟
حتى متى تحجب وجهك عني ؟
إلى متى أردد هذه المشورات في نفسي ، وهذه الأوجاع في
قلبي النهار كله ؟
إلى متى يرتفع عدوى عليّ ؟
أنظر واستجب لي ياربي وإلهي .
أنر عينيّ ، لئلا أنام نوم الوفاة .
لئلا يقول عدوى إنني قد قويت عليه .
الذين يحزنونني يتهللون إن أنا زلت .
أما أنا فعلى رحمتك توكلت .
يبتهج قلبي بخلاصك . أسبح إسم الرب المحسن إلى
وارتل لإسم الرب العالی .

هللویا

إنه أحد مزامير صلاة باكر . وهو مزمور أنين وشكوى وعتاب
من إنسان في ضيقة، وقد طال عليه الوقت في ضيقته .

ولذلك فإن عبارة (إلى متى؟) تكررت أربع مرات في صلاة هذا

المزمور :

قال : إلى متى يارب تتساني ؟ إلى الإنتضاء . حتى متى تحجب

وجهك عنى ؟ إلى متى أردد هذه الأوجاع في قلبي ، وهذه الأحزان

في نفسى النهار كله ؟ إلى متى يرتفع عدوى على ؟

هذا التكرار لم يكن تدمراً ، إنما لجاجة في الصلاة .

هو لون من الإلحاح على الرب . فمهما طال به المدة في

ضييقته ، لا ييأس ، وإنما يرفع قلبه إلى الله متضرعاً وقائلاً : إلى

متى ؟ رغبة منه فى أن يتدخل الله لإنقاذه ...

عبارة (إلى متى) تظهر لنا أن أوقات الألم تبدو طويلة .

أى أن الإنسان يشعر بطولها أكثر من أوقات الفرح ... إن

ساعة واحدة فى ألم شديد من مرض قاس ، تبدو أطول من ساعات

أو أيام فى المتعة والبهجة . دائماً لحظات الحزن والوجع والألم ،

وأيام الفرح تبدو قصيرة.. إن يعقوب أبا الآباء خدم من أجل راحيل
١٤ سنة "وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها" (تك ٢٩:
٢٠). حقاً إن الوقت يسرع في الأفراح ويبطئ في الأحزان.

داود هنا يعاتب الله : لماذا تقف ساكناً في ضيقتي ؟ " أسرع
وأعنى" [٤ : ٦٩ (٧٠)] .

حتى متى لا تتدخل ؟ "إلى متى تقف بعيداً في وقت الضيق؟! "
(مز ١٠ : ١) .. قم أيها الرب ، وليتبدد جميع أعدائك ، وليهرب من
قدام وجهك كل مبغضى إسمك القدوس" (مز ٦٧ (٦٨) : ١) حتى متى
يضطهدني شاول الملك كل هذا الإضطهاد، وأنت ترى وتسكت؟!
ربما لأن ساعته لم تأت بعد . هذا حق ، ولكن أنا قد تعبت ...
هنا وأقول : إن طال عليك أوقات الألم ، ففكر في سببها .

ربما يكون داخلك !
ربما طال الأيام بسبب عدم صبرك ، أو عدم إحتمالك ! قد
يشعر الإنسان بطول فترة الضيقة، إذا لم يستطع القلب أن يصرفها
من الداخل.. إذا كان في القلب شيء من الضجر أو التذمر أو عدم
الصبر ، أو عدم الإيمان بأن الرب سيخلصه وينجيّه . وهكذا يفقد
الرجاء أيضاً ، فيتعب .

إن حلت بك ضيقة ، لا تركز أفكارك في الضيقة ومتاعبها ،
وإنما في الله الذي سوف ينجيك منها ...

لا تتأمل في الضيقة : كيف هي ؟ كيف جاءت ؟ إلى متى تستمر . إنما تأمل في الله المحب الشفوق الذى نجاك قبلاً من ضيقات أخرى ، ونجى كثيرين أيضاً . وترنم بقول المزمور "إن سرتُ في وادى ظل الموت، لا أخاف شيئاً ، لأنك أنت معي" [مز ٢٢ (٢٣)] . ورتل أيضاً عبارات مماثلة في مزامير أخرى تعطى نفس الرجاء ونفس العزاء . اذكر قول موسى النبى للشعب يوم ينس أمام البحر الأحمر :

قفوا وانظروا خلاص الرب . الرب يقاتل عنكم ، وأنتم تصمتون" (خر ١٤: ١٣ ، ١٤) .

إنك لو فكرت في الأحزان المحيطة بك ، سوف تتعب . لذلك اتركها تمر عابرة، دون أن تدخل إلى قلبك وتستقر فيه. انشغل عنها بالتفكير فى شئ آخر . فكر فى إحسانات الله ، وفى وعوده ، وفى أعمال محبته. وفى كل ضيقة تمر بك ، قل لنفسك هذه العبارات :
مصيرها تنتهى . كله للخير . ربنا موجود ...

أما داود فقد تعب ، لأنه فكر فى مطاردة شاول له ، محاولاً أن يقتله. وقد عبر داود عن مخاوفه هذه فى عبارة واضحة وردت فى (اصم ٢٧ : ١) "قال داود فى قلبه : إني سأهلك يوماً بيد شاول" .
أى لا فائدة ! إن هربت منه اليوم، قد لا أهرب غداً ، وسيدركنى !!
التفكير فى الضيقة ، قد يودى إلى التفكير فى تطورات لها

أصعب وأصعب ...
ويزداد الأمر خطورة في نظره ، وقد لا يقف عند حد ،
ويتصور مخاوف ربما لا وجود لها . ويصاب بما يسميه القديسون
" صغر نفس " . وهنا يفقد الرجاء . وينسى وعود الله ، ويفقد الأمل
في تدخله لإنقاذه! وهكذا يدركه الخوف والحزن والقلق .

ولكننا سنرى أن داود لم تصغر نفسه في الضيقة ، كما سنرى
في هذا المزمور ، الذي هو من أعجب المزامير :
إنه مزمور يبدأ بالأين والشكوى والصراخ . وينتهي بالشكر
والفرح والتهليل والتسبيح .

فيما داود كان يشكو ، كان يرى خلاصه أثناء شكواه . كان
يرى الضيقة ، ومعها يرى أيضاً المنفذ ، في إيمان وفي رجاء .
فبينما يبدأ مزمور بعبارة "إلى متى يارب تنساني؟ إلى الإنقضاء! ..
نراه يختم المزمور بقوله :

" الذين يحزنوننى يتهللون إن أنا سقطت . أما أنا فعلى رحمتك
توكلت . يبتهج قلبي بخلاصك . أسبح الرب المحسن إلى ، وأرتل
لإسم الرب العالى ، الليلويا" .

لم ينتظر ليشكر في مزمور آخر ، إنما شكر مع نفس الشكوى!
وهذا هو أسلوب داود في كثير من مزاميره التى يشرح فيها
متاعبه . يبدؤها بذكر المتاعب ، ولكن يختمها بعمل الله معه . فكل

المتاعب عنده مخلوطة بالرجاء. وفي كل صلواته، يعرض على الله مشاكله، وفي نفس الصلاة يرى الحلول الإلهية. وقد يسكب أمام الله دموعه ويرى يد الله في حب تمسح هذه الدموع، فيشكر ويسبح ... ومع ذلك ، فلا مانع من أن يعاتب الله . والله يقبل ...

وما أكثر ذلك في مزاميره. فيقول له في المزمور العاشر "يارب لماذا تقف بعيداً ؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيق في كبرياء الشرير يحترق المسكين ؟ .. الله ليس بعيداً . ولكن لماذا أشعر أنك قد وقفت بعيداً؟!

ويقول في (مز ٤٢ : ٩) 'أقول لله صخرتي : لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب بعيداً من مضايقة عدوي؟! عيرتني مضايقتي بقولهم لي كل يوم أين إلهك" !! إنه كلام مؤثر حقاً أن يعيره أعداؤه بأن الله لا يعمل لأجله، وهو في خجل من أقوالهم وتعييرهم ...

ويقول في (مز ٤٤ : ٢٤) "لماذا تحجب وجهك، وتتسى مذلتنا وضيقتنا؟ لأن أنفسنا منحنية إلى التراب . كن لنا عوناً ، وأفدنا من أجل رحمتك " .

ويقول في (مز ٧٤ : ١٩) "لا تسلم للوحش نفس يمامتك. قطيع بائسيك لا تنس إلى الأبد" أي لا تنس هؤلاء البائسين الذين يطلبونك.. لهذا يرد الرب هكذا "من أجل صراخ المساكين وتهدد البائسين، الآن أقوم ... اصنع الخلاص علانية " (مز ١١) .

وهكذا يقول له المرتل في المزمور "قم يارب. أقم دعواك. اذكر
تعبير الجاهل إياك اليوم كله . لا تتس صوت أعدائك . وضجيج
مقاوميك " (مز ٧٤ : ٢٢ ، ٢٣) . لا تتس يا رب ما نقاسيه . ضع
قضيتنا أمام عينيك .

وعلى الرغم من كل هذا العتاب ، داود يعرف تماماً أن الله لا
ينس عبده، وبخاصة المحتاجين إليه .

إنه يقول في (مز ٩ : ١٢) "ذكرهم .. لم ينس صراخ المساكين".
ويقول أيضاً في نفس المزمور " لأنه لا ينسى المسكين إلى الأبد"
(مز ٩ : ١٨) .

وأشعيا النبي يقول كلاماً معزياً في هذه النقطة : "قالت صهيون
قد تركني الرب ، وسيدي نسيني! هل تتسى المرأة رضيعها، فلا
ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين ، وأنا لا أنساك. هوذا على
كفى نقشتك" (أش ٤٩ : ١٤ - ١٦) . ويقول الرب في الإنجيل :

أليست خمسة عصافير تباع بفلسين؟ وواحد منها ليس منسياً
أمام الله" (لو ١٢ : ٦) .

ويقول بعدها "لا تخافوا. أنتم أفضل من عصافير كثيرة". ويقول
أيضاً "بل شعور رؤوسكم أيضاً جميعاً محصاة" (لو ١٢ : ٧) .

لماذا إذن يقول داود : "إلى متى يارب تتساني، إلى الإنقضاء؟
وفي إحدى الترجمات تتساني كل النسيان؟ ولماذا يقول : إلى متى

تجرب وجهك عنى ؟ ولكن هل حقاً يحجب الله وجهه عنا ؟

هناك حقاً فترات من التخلى المؤقت للنعمة .

إما بسبب عقوبة مؤقتة ، أو ليشعر الإنسان بضعفه فلا يقع فى الكبرياء ، أو بحكمة معينة من التدبير الإلهى لفائدة الإنسان ، أو هو نوع من التخلى الشكلى ، وفيه يراقب الله الإنسان وينقذه وقت اللزوم كالنسر الذى يحمل فراخه على جناحيه ، ويلقيها فى الجو لتتعلم الطيران .

فإذا تعب واحد منها ، يلحقه بسرعة ويحمله على جناحه . أو كأب يعلم ابنه العوم ، فيحمله على ذراعيه ويدربه . ثم يخلي ذراعيه عنه ليعوم بنفسه . فإن لحقه خطر ، يسرع إليه ويتلقاه مرة أخرى على ذراعيه . أو مثل أم تترك ابنها على الأرض ليتعلم المشى . وإن حملته طول الوقت على كتفها لا تشتد أعصابه ، ويصاب بلين العظام . هكذا الله يدرّب أولاده ... ويقول فى سفر أشعيا : "لحيطة تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك" (أش ٥٤ : ٧ ، ٨) .

وأحياناً يحجب الله وجهه عن إنسان بسبب خطاياها .

وبخاصة الذين يعبدون الله وأيديهم ملطخة بالدماء ، وقلوبهم مليئة بالقسوة ، كالذين قال لهم فى سفر أشعيا "حين تبسطون أيديكم ، استر عيني عنكم . وإن أكثرتم الصلاة . لا أسمع . أيديهم

ملائنة دماً" (أش ١: ١٥) .

فإن قال أحد من هؤلاء : إلى متى يارب تتساني؟ يقول له الرب
"هلم نتحاجج" . ابحث ربما أنت الذى بعدت . ولهؤلاء يقول الرب:

"ارجعوا إلىّ ، أرجع إليكم" (ملا ٣: ٧) .

أنا أريد أن أصالحكم ، لم يحدث أننى تركتكم ، بل أنتم الذين
تركتمونى . وكنت معكم ، وأنتم لا تشعررون بذلك . وعن هذا قال
القديس أوغسطينوس فى اعترافاته "كنت يارب معى . ولكننى من
فرط شقوتى لم أكن معك" .

عندما أخطأ آدم ، هرب من الله واختبأ وراء الشجر .

فمن الذى حجب وجهه عن الآخر : آدم أم الله .

آدم هو الذى اختبأ ، ولم يعد يرى الله ، بينما كان الله يسعى
إليه! دائماً الإنسان الخاطى هو الذى يبتعد عن الله .

أتذكر أننى فى أحد أيام سنة ١٩٦٠ كنت أتمشى فى الجبل وقت
الغروب، ورأيت الشمس تختفى عند الأفق، فقلت لنفسى "لم يحدث
أن الشمس أخفت وجهها عن الأرض. إنما الأرض هى التى أدارت
ظهرها للشمس" . هذه العبارة صحيحة جغرافياً، ولكنها تتطبق علينا
روحياً . فعندما تصلى بمزمور داود : إلى متى يارب تتساني؟ إلى

متى تحجب وجهك عنى، قل له :

بل أنا يارب الذى أنساك ، وأنا الذى أحجب وجهى!

يعود داود في شكواه في هذا المزمور فيقول :

إلى متى أردد هذه المشورات في نفسي، وهذه الأوجاع في

قلبي النهار كله ؟

وفي ترجمة أخرى " إلى متى أكوّم هذه الهموم في نفسي.."

يقول هذا إنسان يكوّم الهموم في نفسه ، دون أن يطرحها على الله!

يصارع مع الأوجاع وحده، ولا يطلب معونته من ذلك المحب

القوى الذى يقول على الدوام :

"تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال ، وأنا أريحكم"

(مت ١١ : ٢٨) .

لذلك في كل ضيقائك لا تعتمد على نفسك، ولا تعتمد على

الناس، ولا تستمر في صراحك مع الأوجاع في قلبك النهار كله .

بل إلقِ على الرب همك وهو يعولك . سواء كانت متاعبك ضيقات

مادية، أو اضطهادات من الناس ، أو شهوات وخطايا ...

يقول داود بعد ذلك في المزمور :

"إلى متى يرتفع عدوىّ علىّ" .

يقول المصلى هذه العبارة ، سواء عن أعدائه من البشر، أو عن

الحروب الروحية التى يسقط فيها . فالعدو الذى يرتفع علىّ هنا هو

الشیطان . ولكنه ليس مطلق السلطة علينا .

وإتما يرتفع علينا حينما نسلّمه إرادتنا .

حينما نخضع نحن له ونسلمه قيادتنا . ولكن اطمئن ياخى، فالعدو ليس له سلطان عليك . لأن الله قد أعطانا السلطان أن ندوس على الحيات والعقارب وكل قوة العدو (لو ١٠ : ١٩) .
يمكن أن يحاربك فكر ردى ، وتكون لك القدرة على طرده . ولكنك إذا استسلمت له ، فإنه يقوى عليك . وكلما تفسح له مجالاً ، يسيطر . وهنا يرتفع العدو عليك .

عبارة (إلى متى يرتفع عدوى على) ، قد تعنى أيضاً : إلى متى ينتصر الشر على الخير فى العالم؟ إلى متى قايين يقتل هابيل ، وهيرودس يقتل المعمدان؟! وإلى متى يستطيع الشوك أن يخنق الزرع النامى؟! .

إن عبارة (إلى متى يرتفع عدوى على) تحمل معنى طيباً ، إذ أننا نعتبره عدواً . لأن الشيطان كثيراً ما يظهر كصديق !!
يظهر كملاك من نور (٢كو ١١ : ١٤) أو كحكيم يقدم لك نصيحة، أو يقول " لك أعطى ممالك الأرض ومجدها" (مت ٤ : ٨ ، ٩) أو يلبس ثياب الحملان وهو ذئب خاطف (مت ٧ : ١٥) .

لكن مادمت قد عرفت أنه عدو، احترس إذن منه، ولا تفتح له قلبك ولا فكرك . وكما تتضايق من ارتفاع هذا العدو عليك، لا ترتفع أنت أيضاً على أحد . كنت متواضعاً ، وبهذا التواضع يمكنك أن تغلب الشيطان المرتفع .

أيضاً حينما يدرك داود ارتفاع عدوه عليه، يصرخ قائلاً :

أنظر واستجب لى ياربى وإلهى .

أنت الإله ضابط الكل، انظر ماذا يفعله عدوى بى . وانقذنى منه،

لأنك أنت هو ربى وإلهى . أنت المعين والحافظ . أنت الذى يحكم

للمظلومين (مز ١٤٦ : ٧) . استجب لى إذن ، لأنى فى خطورة .

"أمر عينى لئلا أنام نوم الوفاة .

أمر عينى ، فلا أحيأ فى الظلمة ، لأن الخطية ظلمة . أعطنى أن

أستتير بروحك القدوس ، ولا أسلك فى العمى الروحى ، مثل الذين

لهم عيون ولكنها لا تبصر (مت ١٣ : ١٤) . أمر عينى أيها النور

الحقيقى ، لكى أبصرك وأبصر الطريق الذى يوصل إليك . وحينما

يضغط عدوى علىّ ، أمر عينى لأبصر أن الذين معنا أكثر من الذين

علينا (٢مل ٦ : ١٦) .

اكشف يارب عن عينى ، فأرى عجائب من شريعتك (مز ١١٩) .

أعطنى الإيمان الذى به أرى ما لا يرى (عب ١١ : ١) . ولماذا ؟

لئلا أنام نوم الوفاة . لئلا أسقط ولا أقوم . لئلا أموت الموت

الروحى . وأجرة الخطية هى موت (رو ٦ : ٢٣) .

هذه الكأبة التى أنا فيها ، لها مطلب عند الشفقة التى فىك .

فأنقذنى من هذا الموت ، موت الخطية ، هذا الخوف من الموت ،

هو حجة يستدر بها عطف الله عليه ، وأيضاً :

" لئلا يقول عدوى إني قد قويت عليه " .

إن فخر العدو هو في اسقاطنا . وكما أن السماء تفرح بخاطئي
واحد يتوب ، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة
(لوقا : ١٥ : ١٧) . كذلك الشيطان يفرح ببار واحد يسقط أكثر من ٩٩
خاطئاً لا يعوزهم السقوط . إنه يفرح بسقوط البار ويقول قد قويت
عليه . لذلك يقول داود :

الذين يحزنونني يتهللون إن أنا زلت " .

هؤلاء الذين يفرحون بالإثم ، ويشمتون بي . كما قيل له في
سقطته " جعلت أعداء الله يشمتون " (٢ صم ١٢ : ١٤) .
ما أكثر المزامير التي يشكو فيها داود من شماتة الأعداء :
إنه يقول " يا إلهي عليك توكلت . لا تدعني أخزي . لا تشمت بي
أعدائي " (مز ٢٥ : ٢) . ويقول أيضاً " حتى متى الخطاة يارب .
حتى متى الخطاة يشمتون !؟ (مز ٩٤ : ٣) . ويقول كذلك " أعظمك
يارب لأنك احتضنتني ولم تشمت بي أعدائي " (مز ٣٠ : ١) .
وبنفس الروح يقول ميخا النبي " لا تشمتي بي يا عدوتي . فإنني إن
سقطت أقوم " (مي ٧ : ٨) .

"أما أنا فعلى رحمتك توكلت . يبتهج قلبي بخلصك " .

لتكن رحمتك يارب أقوى من شماتتهم . ولتعطني أنت النجاح
فلا يفرحون بفشلي . ولتعطني التوبة فلا يفرحون بسقطتي . أنا لا

أكل على مقاومتي للخطية، إنما على رحمتك توكلت . أنت
برحمتك تخلصني ، فيبتهج قلبي بخلاصك .

عجيب هو داود، الذي ينتقل من عبارة (الذين يحزنونني) إلى
الإبتهاج فيقول: اسبح لإسم الرب المحسن إليّ، وارتل لإسم الرب
العالي .

إنه يرتل، لأن الكتاب يقول "أمسرور أحد فليرتل، (يع ٥: ١٣).
إنه مسرور بالرب، يبتهج بخلاصه . لقد قال "انظر واستجب لي
ياربى وإلهى" . والرب سمع واستجاب . وأحسن هو بهذا أثناء
صلاته فابتهج وسبح ... سبح الرب المحسن إليه . قبل أن ينال
الإحسان ، بل آمن به .

هذه القيثارة المحيطة إشتدت أوتارها مرة أخرى ، فعزفت لحن
التسبيح ، وختمته بكلمة الليلويا .

وكان داود يقول للرب : إن الكلمات التى قلتها فى أول المزمور
قد سحبتها الآن : سحبت عبارة تنسانى، وعبارة تحجب وجهك
عنى . الآن يبتهج قلبي بخلاصك . إنى أعتذر عما قلتته . الآن
عدوى لن يقوى على "الفخ انكسر ونحن نجونا" . حقاً ما أجمل قول
السيد المسيح :

" لكن حزنكم يتحول إلى فرح " (يو ١٦ : ٢٠) .

فلا يقول عدوى إلى قد قويت عليه

لأنها... أكثر من تسعة وألف... (وهناك...)

الفهرست

- مقدمة ٥
- المزمور الأول : طوبى للرجل ٧
- مزمور ١١٢ (١١٣) : سبحوا الرب أيها الفتیان ٣٩
- مزمور ٦٢ (٦٣) : يا الله أنت إلهي إليك أبكر ٥٣
- مزمور ١٢ (١٣) : إلى متى يارب تتساني ٨١
- فهرست الكتاب ٩٦

فصل الكتاب

بسم الآب والإبن والروح القدس

الإله الواحد ، آمين

نقدم إليك أيها القارئ

العزیز هذا الكتاب الذى

يضم تأملات فى أربعة

مزامير من صلاة باكر هى

★ طوبى للرجل (مز ١) .

★ إلى متى يارب تتسلى

(مز ١٣) .

★ يا الله أنت إلهى ، إليك أبكر

(مز ٦٣) .

★ سبحوا الرب أيها الفتيان

(مز ١١٢) .

وقد سبق أن قدمنا كتاباً عن

المزمور الثالث (يارب لماذا

كثر الذين يحزنوننى) وكتاباً

آخر عن المزمور السادس

(يارب لا تبكتنى بغضبك) .

وإلى اللقاء فى مزامير أخرى .

البابا شنودة الثالث